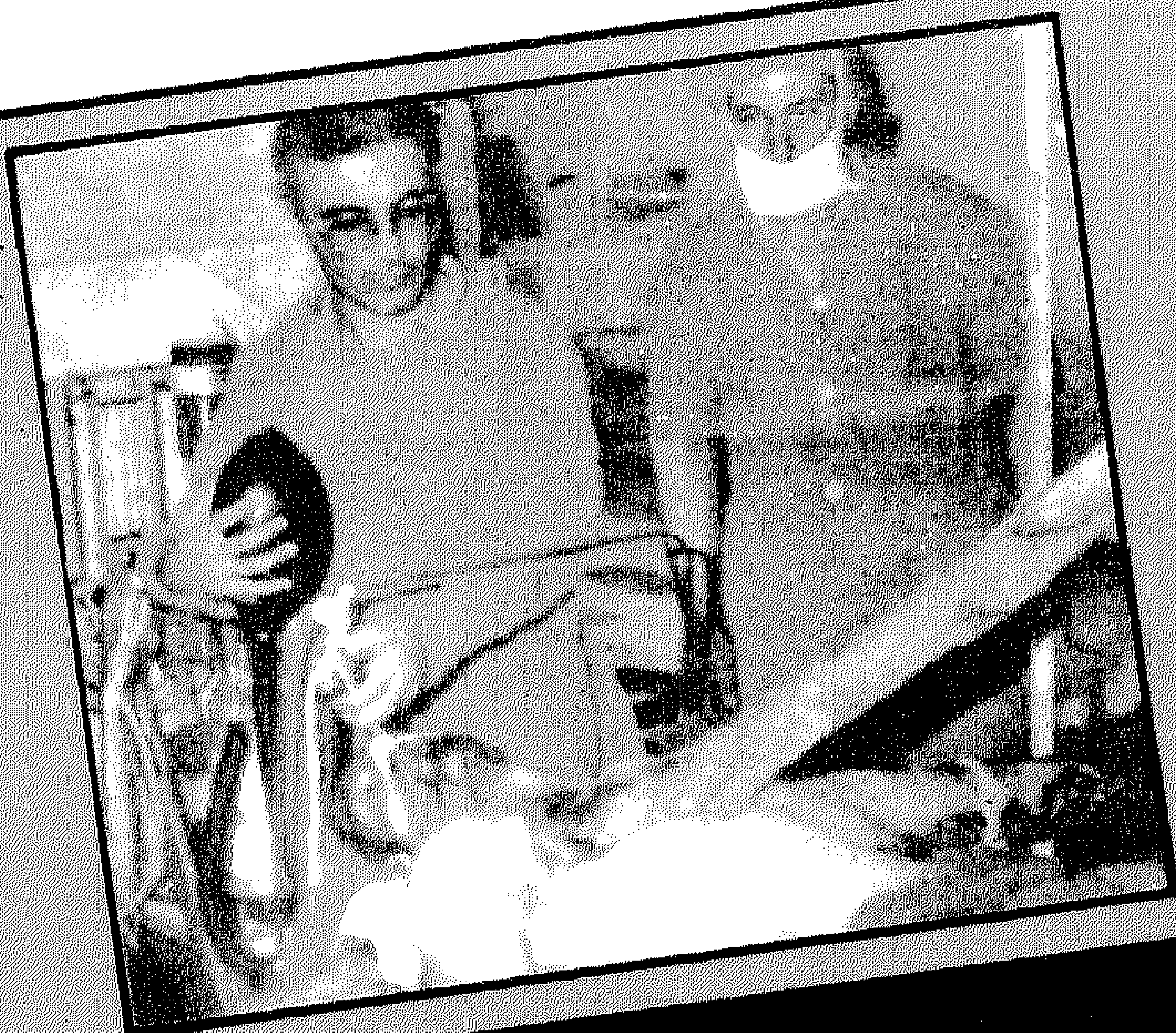
وليد ناصيف

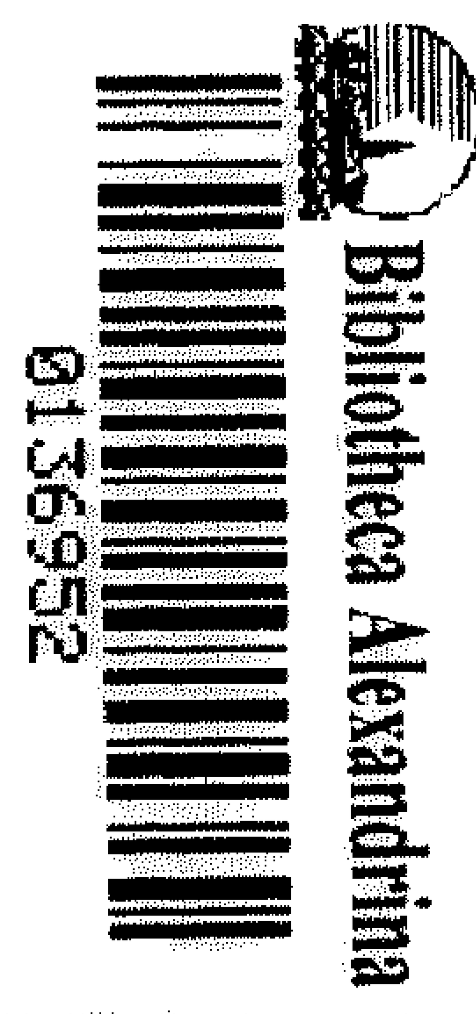
غرائب من العالم

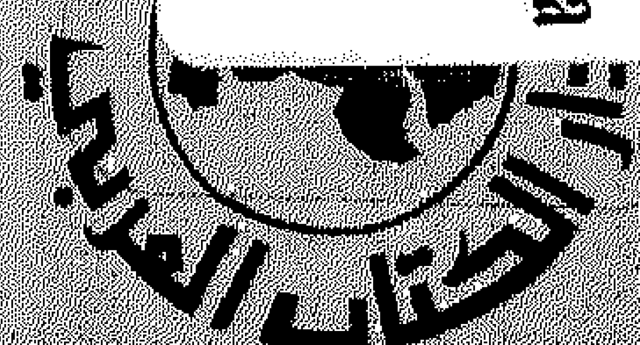
الجزء السادس





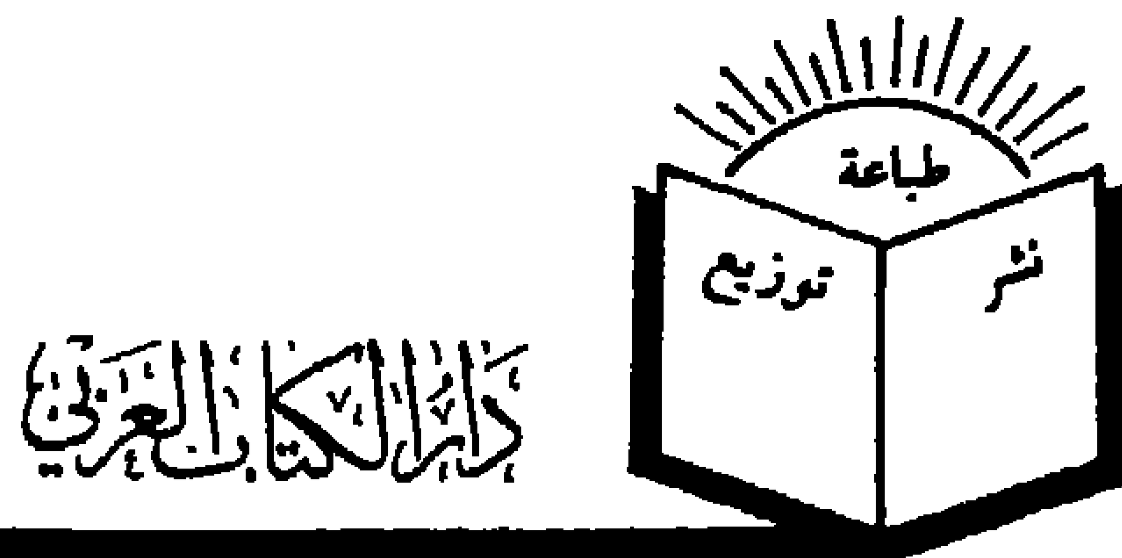






غرائب من العالم

الطبعة الاولى
١٩٨٩



دمشق الحلبوني تلكس/٤١١٥٤١ /هاتف: ٢٢٣٨١١

وَليد ناصيف

غرائب من العالم

الجُزءُ السادسُ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة

تشكل المتعة والفائدة غايتين رئيستين لكل قارىء ، وهما بالتالي هـدفان رئيسـان لكل كتاب ناجح .

ولا يستطيع الإنسـان مهما ازدادت أشغـاله أن يتخـلّى عن المتعة العقليـة ، فهي ضرورة ما بعدها ضرورة لراحة النفس ، وهي لذّة ما بعدها لذّة لسمـوّها وتـرفّعها عن الدنايا .

وهـو لا يستطيـع أيضاً أن يجعـل المتعة تـطغى على حيـاتـه ، فتبعـده عن العلم والتعلّم ، فبـالعلم يتميّز البشر ، وبـالتعلّم يرتقـون في سلّم الحضارة والـرقّي . يقـول تعـالى : ﴿ **هل يستـوي الذين يعلمـون والذين لا يعلمـون ؟** ﴾ ويقول جـل شأنـه : ﴿ **إنما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ** ﴾ ، وذلك تمييزاً من العـليّ القديـر للعلماء ، وإعلاءً لشأنهم .

ولقد توخينا في هذا الكتاب الغايتين معاً : المتعة والفائدة ، وذلك بـالكلام عـلى الفلاسفة والشخصيات العالميـة المشهورة من علماء وقـادة مفكرين وقـدّيسين وفنـانين . والحـديث عن غريب الحـوادث والأشياء والأشخـاص ، ووصف العادات والـطقـوس

الغريبة ، وذكر عجائب المخلوقات وغامض الحضارات ومعجزات الطب ، إضافة إلى معلومات متناثرة ذات فائدة ومتعة جمّتين .

وبعد ،

فإنه لا يسعنا إلا نسأل الله التوفيق في ما قصدنا إليه ، فهو خير مقصد وعاصم .

* عمالقة في التاريخ :

«سقراط»

إن «العبقـرية» ليست وقفـاً على شعب دون شعب ، ولا عـلى طبقـة دون طبقة من أبناء الشعب الواحد . . كما أنها ليست حكراً لحضارة دون حضارة . . لكن العبقرية ألـوان وأنواع . . هي عملقـة في الفكر ، كـما هي عملقة في الفن والإدارة والقيادة العسكرية أو السياسيـة . . إنها في كل ألـوانها ومواطنهـا إستثناء من القاعدة العامة ، ولكنها الإستثناء الذي لا تستقيم الحياة إلا بـه ، ولا يصنع التاريخ إلا في ظله .

يضاف إلى ما سبق أن «العبقرية» في جوهرها لا تنفصل في قدرتها ورؤاهـا عن القاعدة العامة . . ولـو أنها انفصلت عنها لمـا استطاعت أن تلعب دورهـا في صنع التاريخ . . ولمضت مع الأيام مضى الأمس الدابر ، أو الظلم العابر . . لا تحدث أثراً ، ولا تطلق ذكراً . .

إن العبقـرية التي تصنـع التاريـخ الأصيل المبـدع هي التي تجد في النـاس العاديين من حـولها الإستجـابة لأحـلامها وأطمـاحها والقـدرة على الارتفـاع إلى



الفيلسوف اليوناني سقراط

المستوى الذي يتجاوب مع رغباتها . . ولذلك فهي لا تكون «عبقرية» منتجة ما لم يكن المجتمع الذي ربيت فيه هو المترجم لما توحي به وتخطط له . .

* * *

*** تيارات فكرية :**

وقد يحدث أن تجد« العبقرية» في بيئتها الاجتماعية الصدى المطلوب للأحلام التي يحفل بها قلب صاحبها العبقري . . لكنها ـ في الوقت نفسه ـ تواجه تيارات فكرية أو نظماً إجتماعية أو بيئة سياسية ترفض الفكر الذي يطرحه صاحبها ، أو النظام الإجتماعي الذي يدعو إليه . . أو اللون السياسي الذي

ينادي به فلا تلبث «عبقريته» أن تواجه الصدمات العنيفة ، من تجاهل مقصود لها ، أو نكران لأصالتها ، أو قوة مادية تقف دونها ، وتحاول أن تطفىء النور الذي يصدر عنها . .

وإذا قضى سوء الحظ على هذه «العبقرية» أن يسقط فيفقد حياته تحت وطأة هذه الصدمات ، فإن هذا الحادث المأساوي لا يقلل من تأثيره ، ولا . . يستطيع أن يخرجه من مسرح التاريخ . .

بل قد يكون العكس ، فإن سقوط صاحب «العبقرية» ضحية الرفض أو الإضطهاد ، لا يلبث أن يتحول إلى نبتة خضراء . . تغذيها مسيرة التاريخ في الناس والأشياء ، فتنمو النبتة لتصبح شتلة فتية . . ثم تمسي الشتلة بعد ذلك شجرة باسقة . . جذع يسيخ في الأرض وأغصانها في السماء . . وهكذا تصبح بظلها وأثمارها ضرورة لا يستغني عنها من يجاورها من الناس والأشياء . .

وينسى الجميع الدور المخجل لأولئك الذين تجاهلوا «العبقري» ، أو تحاملوا عليه ، وانتزعوا الروح من جسده ، ويصبح طريد الأمس ، البطل الذي تحنو القلوب لذكراه ، وتستعيد الذاكرة أيامه في ظل حب عظيم واحترام شديد ، وربما في وله غير عادي . .

أما عملاقنا العبقري . . فقد وقع اختيارنا عليه بعد تصفية مكررة وعرض للعديد من أمثاله الذين ظهروا قبله أو بعده فوق تراب بلاده الوطني ، أو فوق غيره من شعوب الأرض . .

هو: «سقراط» الذي يقال أنه نقل الفكر الفلسفي من عالم الطبيعة الخارجي إلى عالم النفس الإنسانية . . والذي يتفق مؤرخو الفكر الفلسفي عند « . . اليونان» على أنه قد استطاع أن يلعب دوراً كبيراً في تحرير الثقافة الـ ـانية من انتهازية «السوفسطائيين» الذين يستعينون بمهاراتهم العقلية لإقناع ـاسر بعدم وجود حق أو باطل خارج النفس الإنسانية . . فالحق عندهم هو الحق الذي يستجيب لرغبات صاحبه . . وقد يختلف كثيرون من الناس حول موضوع

من الموضوعات فلا يتفق الواحد منهم مع الآخر ، وبذلك يصبح كل واحد منهم على حق لأنه يتفق مع مصالحه أو يستجيب لرغباته . .

ثم يترتب على هذا أن تضيع حدود الحق والباطل . . فلا يعـود هناك حق يلجأ الناس إليه ويحكمونـه فيما يشجـر بينهم . . كما لا يعـود هناك بـاطل يجعـل الناس منه مقياساً لما يرفضونه من الأفكار والأعمال . . ففي نظر السوفسطائي : كل الناس على حق . . وكل الناس على باطل . . هكذا تنبهم الحـدود ، وتفسد الموازين ، ويصبح الحق مرتبطاً برغبة صاحبه وقدرته العقلية على إثبات حقه .

* أسرة سقراط

والواقع أن «المؤرخين» أو أن بعضهم قد شـك في وجود «سقراط» أو أنكر وجـوده إنكـاراً تـامـاً . . وزعم أنـه مجـرد شخصيـة إختـرعتهـا خيـالات بعض الناس . .

أما نحن فلا يعنينا أن يكون «سقراط» شخصية تـاريخية قـد وجد بلحمـه ودمه ، ولكن الذي يعنينا الرؤية الفلسفية التي كانت له ، والتوجيهات والمواقف التي صدرت عنه ، إن الـذي عنينا أن «سقـراط» قد رمـز بوجـوده الحقيقي ، أو غير الحقيقي إلى تحولات فكرية فلسفية ، وصور لنـا مواقف نفسيـة وخلقية يمكن أن نجد فيها صورة معجبة مدهشة للرجل «اليوناني» خلال القـرن الخامس قبـل الميلاد . .

ويزيد في أهمية «سقراط» أنه لم تصوره الحكاية التاريخية على أنه من أسـرة ممتـازة تنتمي إلى الطبقـة الارستقراطيـة الحاكمـة أو المالكـة . . بل هـو من أسرة تنتمي إلى الطبقة الدنيا . . أو هي أقـرب إليها . . كـان أبوه «حفـاراً» ، وكانت أمه «قابلة» . .

كـما لم يكن حسن الوجـه ، ولا جميل الـطلعة . . وكـان في الـوقت نفسـه مستنير العقل كبير القلب محباً للخيـر ، لا يشغله من دنياه كلهـا غير شيء واحـد

هو البحث عن الحقيقة والسعي إلى معرفتها . . ولكن ما السبيل إلى هذه الحقيقة التي كان «سقراط» وغير «سقراط» يطمح إلى استيعابها ؟ . .

قلنا أن «السوفسطائيين الذين يعاصرون «سقراط» كانوا لا يؤمنون بوجود حدود للحق والباطل ، ولا ينادون بقيم معينة تكون بمثابة المثل العليا ، التي يستضيء الناس بها . . المصلحة الفردية هي وحدها ميزان الحق والباطل . . هؤلاء «السوفسطائيون» هم الذين وقف «سقراط» حياته الفكرية للرد عليهم وإسكات صوتهم وفضح إنحرافاتهم . .

لكن سقراط «لم يكن أمامه فئات «السوفسطائيين» وحسب . . فقد كانت حرية على «السوفسطائيين» تفرض عليه رفض كل التيارات الفلسفية التي ظهرت قبله أو عاصرته . . تلك التيارات التي كان أ- حابها يبحثون عن الحقيقة في العالم الخارجي ، عالم الطبيعة المادية والكون من حوله . . فقد تعاقب قبل «سقراط» بأكثر من قرن واحد مفكرون ، كانوا يلتمسون الحقيقة فيما يحيط بهم من أشياء الطبيعة والكون . . أحدهم كان يعتبر الماء أصل الوجود كله . . وآخر كان يرى في الهواء هذا الأصل الذي يبحث عنه . . وثالث يرى أن النار هي المصدر الأساسي . . ورابع يعتقد أن خليطاً معيناً من الماء والهواء والتراب والنار هو الذي يصدر عنه كل شيء من أشياء الطبيعة والكون . .

وجاء بعد هؤلاء من حاول أن يأخذ من كل بعض مذهبه الفلسفي . . إلا أن هذه المسيرة الحافلة بالمذاهب المتعارضة والمتباينة ، أو السابكة بقيت تبحث في العالم الخارجي عن الحقيقة اليتيمة . .

حتى إذا جاء «سقراط» أسقط المسيرة كلها ، ورفض البحث عن الحقيقة في العالم الخارجي . . وأعلن قولته المشهورة : «إعرف نفسك» . .

فمن يعرف نفسه في نظره ، يمسك الخيط الذي يضع الحقيقة بين يديه . .

* الحق المجهول :

لكننا هنا لا نقصد إلى عرض التفصيلات الكاملة لفلسفته التي عرفت لا في كتب دبجها قلمه بل في كتب تلاميذه ورجال المدارس الفكرية التي نشأت في ظل فلسفته . .

والواقع أن سقراط . . كان يمثل الروح «اليوناني الجديد» الذي كان العصر يتمخض عنه . . لكن المخاض كان عسيراً ، كما هو شأن كل مخاض في نظام الحياة والطبيعة والكون . .

حاور «السوفسطائيين وأسكتهم . . وحاور كل من كان يريد عقد الحديث معه . . وكان لا يصدر في حواره موقف المستبد برأيه ، العارف مسبقاً بالحقيقة ، يجادل محاوريه حولها . . بل كان يتصرف كما لو أنه يريد مع محاوريه أن يصل إلى الحق المجهول منهم جميعاً . .

وإذا كان «سقراط» ذا ميول وأفكار جديدة لا عهد لليونانيين بها في مدينة «أثينا» فإن هذه الأفكار وتلك الميول لم تحل دون إنصرافه إلى واجباته الوطنية فعل كل مواطن واع بمسؤولياته . . مستعد للتضحية خدمة لواجباته . .

فقد كان يشترك في الانتخابات ، ويجلس في جماعة الشعب . . ويروي أنه إنتخب مرة في مجلس الشورى ورأس جماعة الشعب . . ثم أنه كان يقوم بواجبه العسكري ، فاشترك في الحرب غير مرة ، وأبلى فيها البلاء الحسن . . وأظهر من الشجاعة ما كان يبوئه المكانة المرموقة بين مواطنيه . .

لكنه في الوقت نفسه لم يكف عن محاورة الشبان ، فهو يسعى إليهم إن لم يسعوا إليه . . وقد كلف به الشباب وأحبوه . . وحواره لم يكن يجري في مدرسة أو في ملعب أو في مبنى معين . . بل يجري في أي مكان ، في البيت . . والشارع والسوق . . وكان يخالط حواره نوع من الدعابة . . بل إن الدعابة كانت وسيلته التي يبلغ بها عقول الناس من حوله . .

لكن الدعابة لم تكن مقصودة لـذاتها . . بـل كانت تشف عما وراءها من الحكمـة والجد في الـدرس ، يخالف بهـا «السوفسـطائيين» الـذين لا يبغون من وراء محاوراتهم غير الفوز بالأمجـاد ، وكسب المال . . بـل كانـوا يضعون شـروطاً معينة ويتفقون مع من يستمع إليهم على دفع رسـوم ماليـة معينة ، تـزيد بـزيادة عدد الدروس وتنقص بنقصانها . .

ومن الـطبيعي أن يغضب «سقـراط» أولئـك « السوفسطائييـن » . . وأن يدفعهم إلى مقاومته وإثارة العامة عليه . . لكن النقمة على فلسفته لم تصـدر عن العامة فقط . . بل ظهرت بعد ذلك في صفوف الطبقة الأرستقراطية . .

ويـروي أن الشاعـر التمثيلي المشهـور «أرستفان» الـذي كان يمثل الطبقـة الاستقراطية راح يعـرض بسقراط في قصصـه التمثيلية ويسخـر منه كـما في قصة «الـطير والضفـادع» ولا سيـما في قصـة السحـــاب التي خصصت كلهـا تقــريبـاً للسخرية به . .

وهكذا أصبح «سقراط» إنساناً خطراً في نظر الأرستقراطية [illegible] راح يعبث بما تعارف عليه الناس من العادات والتقاليد ، [illegible] من الأخلاق . .

وأصبـح «سقـراط» عـدواً للجميـع وخطراً [illegible] الأرستقراطي ، والديمقراطي ، ولا سيما حين أخذ [illegible] الحكم القائم ويعارض محـاكمة القـواد الاثينيين المنتصرين في معركـة أرجينوس بدعوى تقصيرهم في جمع الغرقى من جنود تلك المعركة . .

وبلغ السيـل الزبي حين لم يعد لـه صديق في عـداد النافـذين من أنصـار الأرستقراطيين والديمقراطيـين . حتى إذا استتب الحكم لجماعـة الديمقـراطيين ، وانتهى عهد الطغاة الثلاثين الذين كانوا يتـولون الحكم في «أثينـا» بدأ «سقـراط» يواجه خطر تقديمه إلى المحاكمة ، ومحاسبته على أفكـاره الجديـدة التي كان يبثهـا بين الناس . .

* اتهام سقراط :

وهنا تقدم إثنان من «الأثينيين» ، أحدهما شاعر معروف ، بقضية إلى الشعب يتهمان فيها «سقراط» عدة اتهامات كلها خطرة . . منها أنه يفسد الشباب ومنها أنه لا دين له . . ومنها أنه يسخر بالنظم السياسية القائمة ، وجيء به إلى مجلس القضاء . . وجرى بينه وبين قضاته حوار غريب عجيب لم يكن في إجاباته الرجل الجاد الذي يدافع عن نفسه . . بل أتخذ موقف الساخر منهم ، الهازىء بأحكامهم . . المستخف بدورهم والمزدري لهم . . مما ضاعف غضب القضاة وأثار حفيظتهم . .

ومع ذلك فإن الحكم الذي صدر بإعدامه لم يصدر كما يقول المؤرخون إلا بأغلبية ضئيلة . . والواقع أن القضاة كانوا فريسة لنوعين من المشاعر :

النوع الأول : هو إحساسهم العميق بأن فيما يقوله ويصفه كثيراً من الحق . . والنوع الثاني : هو غضبهم لكرامتهم ، وضيقهم بأسلوبه الساخر في محاورته لهم . . والمعروف في المحاكمات التي كانت تجري في عهد «سقراط» أن القضاة يصدرون حكمين :

الحكم الأول : هو إثبات إدانة المتهم . . والحكم الثاني : هو تقرير العقوبة لتي يستحقها المتهم إذا ثبتت إدانته . .

ومن التقاليد التي كانت تجري عليها المحاكم في «اثينا» أن قضاتها يسألون المتهم بعد إدانته عن العقوبة التي يستحقها ، كما يسألون المدعي عن العقوبة التي يستحقها المدعي عليه . .

والطريف في الأمر . . أن جواب «سقراط» عن السؤال الموجه إليه بتحديد العقوبة التي يستحقها كان ضغثاً على آبالة . . أي جعل الحكم عليه بالموت أمراً مقضياً لا رجوع عنه . . لقد أجاب السائل ساخراً :

ـ «إنني أرى أن تطعمني الدولة بقية حياتي لأنني أنفقت ما مضى من أيامي

في تعليم «الاثينيين» وتهذيبهم . . مما أسخط الحكام فأصدروا حكماً بالموت . .

ومن عجيب أمر «سقراط» أنه في الوقت الذي كان يعبث فيه بكل العادات والتقاليد والقيم والنظم السياسية القائمة . . كان يقصد القوانين ويصر على احترامها . . ويرى أن الخروج على هذه القوانين هو خروج على المبادىء الخلقية التي يتمسك بها . . ويجد فيها ضمانة لمدينته وسياجاً لسلامتها . .

وبالرغم من أن «سقراط» قد وجد في الحكم الذي صدر بإعدامه ظلماً له وافتئاتاً على حقه في تعليم الناس وتهذيبهم ، ورفضاً للحرية التي هي حق لكل أثيني . . لم يخطر في باله يوماً ـ وهو في السجن بانتظار اليوم الذي ينفذ فيه الحكم ـ أن يستفيد من الفرصة التي تهيأت له للهرب من السجن والنجاة بنفسه . .

وقد ذكر المؤرخون أن بعض تلاميذه هيأ له فرصة للهرب وأعَدَّ له وسائله ، وألح عليه فيه ، لكن «سقراط» أبى أن يهرب . . لقد أبى الهرب إكباراً لقوانين الدولة واحتراماً لأحكامها . .

والواقع أن أحداً ممن يتابع المراحل التي مرَّ بها سقراط . . والمواقف التي سجلها ، لا يستطيع أن يوفق بين رأيه في النظام القائم ، والدين السائد ، والتقاليد المعمول بها . . وهو رأي رافض لها جميعاً ساخر بها جميعاً ، مستخف بكل الرجال والهيئات والمؤسسات التي تمثلها ، أو ترمز إليها ، وبين الموقف الغريب الذي اتخذه من فرصة الهرب التي تهيأت له . .

وفي رأينا أنه رفض غير مفهوم بل هو مقطوع الصلة تماماً مع كل المواقف التي اتخذها في مراحل حياته كلها . .

وفي رأينا أيضاً أنه يحتمل أن يكون «سقراط» قد أصيب بنوع من «الاكتئاب» بعد صدور الحكم ضده بالإعدام . .

وأن اكتئابه هذا هو الذي دفعه إلى رفض الهرب والإقبال على تناول السم . .

فهل « سقراط قد عز عليه الإعتراف برغبته في الموت . . فعزا رفضه للهرب بدعوى إحترامه للقوانين وإكباره لأحكام القضاء ؟ . .

لكن هذا التفسير لا يتفق مع موقفه من القضاة وسخريته بحكمهم . .

ومهما يكن الأمر فإن رفضه لما عرض عليه للنجاة بنفسه حلقة ضائعة في سلسلة حياته . . لكن ضياع هذه الحلقة لا يقلل من أهمية الدور الذي قام بها كما لا يخفي معالم شخصيته العملاقة التي تحدث المجتمع الاثيني وأغضبت كل القوى . . الرجعية فيه . . ثم تركت وراءها آثاراً كانت ولا تزال شواهد باقية في مسيرة الفكر الانساني . .

* * *

«الوجه الآخر لجان دارك»

«جان دارك» عند الفرنسيين : بطلة قومية لدرجة أن رفعوها إلى مصاف القديسين ، ونصبوها قديسة عام ١٩١٩ ، وأصبحوا يحتفلون بعيدها في الثلاثين من شهر مايو من كل عام . .

لقد نصبوها ـ تلك الفتاة ـ التي أحرقتها محاكم التفتيش عام ١٤٣١ ، ولم تكمل من عمرها التاسعة عشر عاماً بتهمة الهرطقة والسحر .

وقصة «جان دارك» كما يرويها بنو قومها من الفرنسيين المؤمنين بها بدأت وعمر الفتاة حوالى الثالثة عشرة حين أدعت أنها تسمع أصوات الرب والقديسين يناشدونها إنقاذ فرنسا من الإحتلال الإنجليزي وتتويج «شارل السابع» ملكاً على عرش فرنسا . .

كانت «جان» فتاة ريفية صغيرة ساذجة إبنة فلاح مغمور عندما لبت نداء الأصوات المقدسة ، وحققت رغبة الالهة ، غير أن الإنجليز يرون في الأمور



جان دارك

صورة معاكسة مقلوبة إذ يعتقدون أنها ساحرة قد تمكن منها الشيطان ، ويلقبونها بـ فتاة «أوليانز» نسبة إلى المدينة التي حررتها . .

بعض الأطباء الإنجليز تطوعوا لتحليل شخصيتها . . فقال قائلهم : «إن . «جوان أوف آرك» صاحبة القوس على حد الترجمة للاسم الفرنسي «جان دارك» . ليست سوى طفلة مريضة «بالشيزوفرانيا» . . وبهذا ألبسوها ثوب العقل المختل . .

ولكن قصة إحراق «جان دارك» تحوي نقطة أثارت جدلاً طويلاً ، ما دفع البعض أن يلبسها ثوب «القديسين» وهي أن قلب «جان دارك» وأمعاءها لم يحترقا مع ما احترق من جسمها . . لهذا . . أخذت جموع المؤمنين بالفتاة من الفرنسيين إلى إلقاء القلب والأمعاء في نهر «السين» بتركيا لنهرهم العظيم طبيب إنجليزي من المتخصصين في علم النفس يرى في هذه الظاهرة رأياً آخر . .

طبعاً لن نتوقع من طبيب «أنجليزي» أن يلاحق البراهين لإثبات المعجزة التي يدعيها الفرنسيون وإنما هو على حد زعم الطبيب النفساني «الانجليزي»

تحليـل علمي يؤكد إصابة «جـوان أوف آرك» (جان دارك بـالفرنسيـة) بـالسـل البقـري الذي وصلت عـدواه من أبقار أبيهـا . . ودليله على هـذا هو نحـولها ، وصفرة جلدها ، ووجهها الكالح ، وعدم إحتراق قلبها وأمعـائها . . لأن العقـد الحشرية ، أو المساريق قد تكلست بفعـل السل ، كـما تكلس التامـور أو الغشاء المغلف للقلب ، فلم تقو النار على حرقهما . .

كـما يؤكد هـذا الـطبيب أيضـاً : وحـول العـدوى إلى الفص الصـدغي من الدماغ مكوناً ورماً درنياً وحجته في هذا أن أورام هـذا الفـص من المخ تؤدي إلى الهلوسات الدينية كتلك التي انتابت الفتاة الصبية «جان دارك» . .

بهذا التحليل «الإنجليزي» تكون «جوان أوف آرك» جوان صاحبة القوس «مريضة» . .

ولكنها في التحليل الفرنسي قديسة باركهـا الرب رفعهـا إلى جواره . . من جانبنا لن ننتصر إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء فهي قضية «انجليزية ـ فرنسية» وكل الـذي يعنينا فقط هـو أن «انجلترا» و«فـرنسا» كـانا معـاً شركـاء لإسـرائيـل في العدوان الثلاثي على «مصر» عام ١٩٥٦ بعد خمسمـائة عـام من إحراق «جـان دارك» .

❊ ❊ ❊

* أيتام حكموا العالم :

نصبوا أنفسهم «آباء» لشعوبهم
بعد أن افتقدوا الأب في طفولتهم

* هل اليتيم باكراً من الأب أو الأم ، أو من كليهما دافع أساسي لخوض السياسة وقيادة مصائر الشعوب . .

ثمة قاسم مشترك يجمع بين نسبة كبرى من الزعماء الذين احتلوا موقعاً متميزاً في سياسة مصير الإنسانية . .

فالمهاتما غاندي و«نابليون» و «جنكيز خان» و «أتيلا» و «لينين» وستالين فقدوا آباءهم منذ كانوا أطفالاً . .

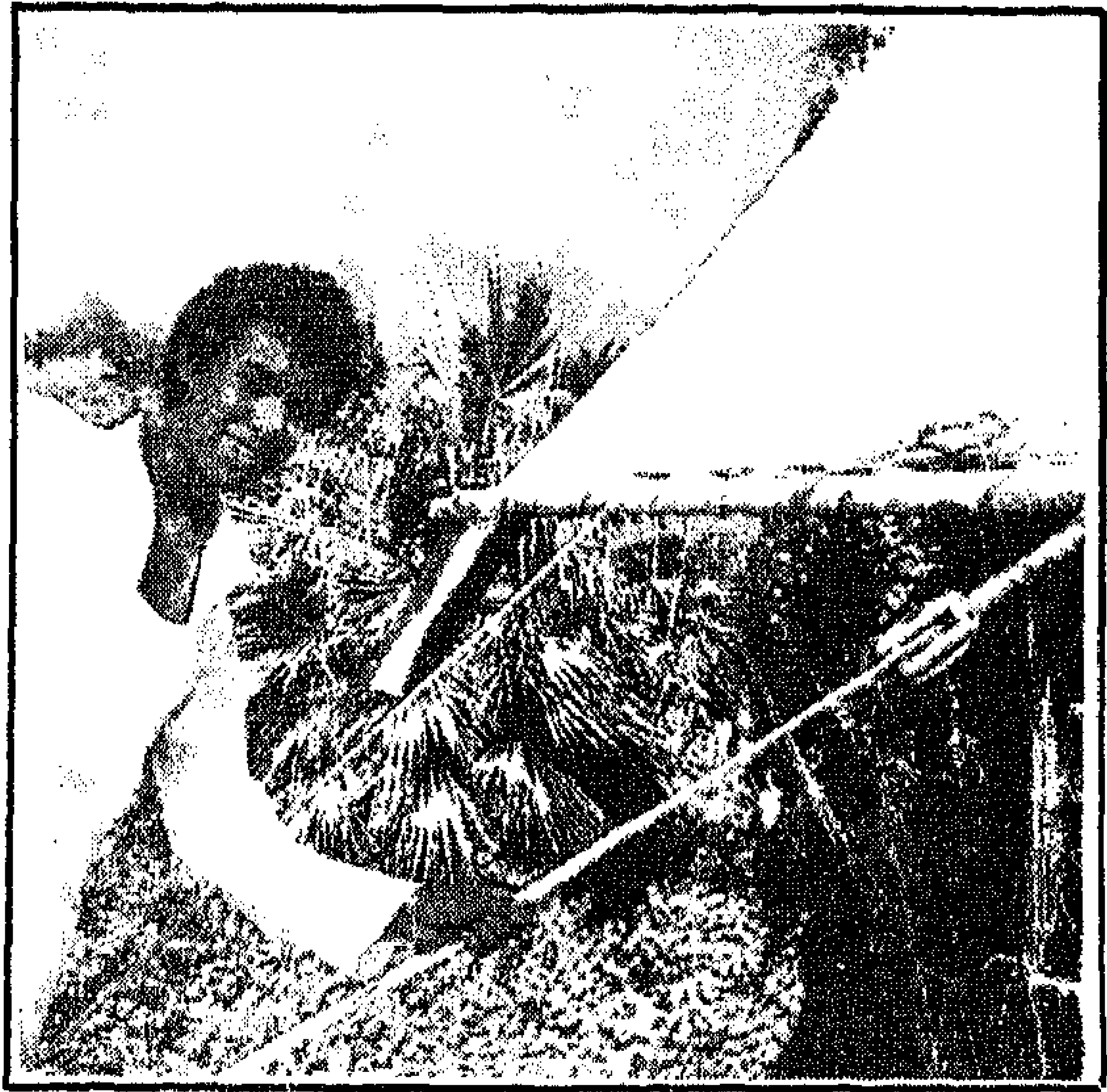
بينما كان «هتلر» و «بوكاسا» وغيرهما يتامى الأب والأم ، وكذلك «جورج واشنطن» و «فيدل كاسترو» و «فيلي برانت» . . كانوا اطفالاً غير شرعيين . .



بوكاسا . . يثير الجدل :
امبراطوراً . . وسجيناً



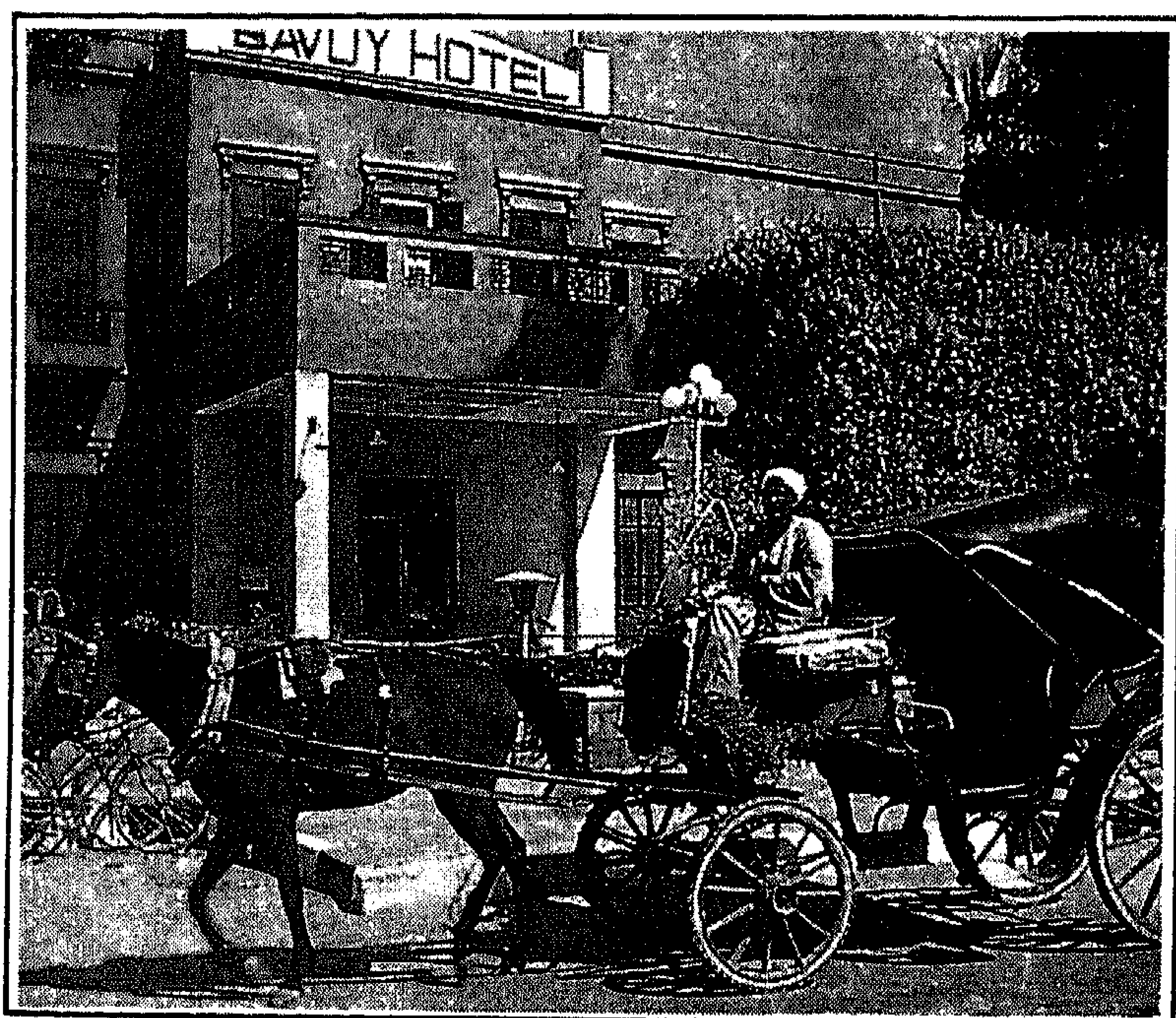
بوكاسا مع المحامين الفرنسيين الذين يتولون الدفاع عنه



أحد أبناء أسوان



تنظر إلى بعيد



الحنطور ما زال يعمل





هتلر : وضع نفسه «اباً» للوطن



فرانكو : الجيش والسلطة عائلته



فيلي برانت : منح نفسه هوية جديدة



بوكاسا : ديغول كان «أبوه الروحي»



فيديل كاسترو

إن قراءة أي كتاب يحكي عن الأطفال المحرومين من حنان أحد الوالـدين تلفت إنتبـاه الشخص إلى مدى هـول شعور الـطفل بـالكبت والحرمـان ، حيث يفقد أباه . . أو أمه . .

ومن المؤكد أن ما يميز طفولة اليتامى الذين صاروا زعـماء في ما بعـد ، هو ذلك الشعور بالفراغ ، وبـالعدم الـذي يلحق باليتيم حـين يشعر بنفسـه معزولاً عن البنيات التقليدية التي تؤمن اندمـاجه في مجتمعـه ، نتيجة إحسـاسه بفقـدان حلقـة بيولـوجيـة وتـاريخيـة (الأب أو الأم) كـان من المفتـرض أن تؤمن ظـروف تربيته . .

وهذا ما يفسر قيام أزمة الهوية لـدى الطفـل ، حسب سنه ، والتي تكـون بشكل أو بآخر ، النقطة المشتركة لدى كبار العالم الذين تيتموا باكراً . .

ويقول «علماء النفس» الذين انكبوا على هـذه المسألة: أنه غـالباً مـا يلجأ هؤلاء الأطفال إلى السياسة معتبرين هذا الميدان الوسيلة الفضلى لإقـامة أو تغيـير نظام سياسي ، أو اجتماعي يتوافق مع مفهومهم للعالم . .

فشعور الطفل بالإهمال النـاتـج عن وفاة أبيـه أو غيابـه أو ثورتـه على هـذا الأب قد يحرر قوى دافعة لا تخضع للأنا ـ الأعلى الموجود لدى كل إنسان . .

ويرى «علماء النفس» أن هذا الشعور بالحـرمان يؤدي غـالباً إلى أحـاسيس قلق وخوف ، تدفعه إلى ردود فعل عدوانية يمكن أن تؤدي حسب قدرات الطفل الوراثية ووسـطه الإجتماعي ومستـواه الثقافي ، إلى إرادة للسيـطرة على المجتمـع الذي قد يعتبره مسؤولاً عن موت أبيه . .

وفي غيـاب الأب يسعى الطفـل اليتيم بشكل لا شعـوري إلى تحقيق مثال ينشده يكون قـد استقاه من شخصيـة مثاليـة بحتة ، أو من التـاريخ ، أو الحيـاة السياسية اليومية . .

ويمكن له ، حسب نوازعه الداخلية ، السمو بمثاله نحو قوة غير منظورة ، أو نحو مفهوم الوطن . .

فالثائر الفرنسي «دانتون» الذي فقد أباه حين كان في الثانية من عمره . . والذي عكس مصيره على وطنه حين أصبح أحد قادة الثورة الفرنسية ، قال في إحدى خطبه اللاهبة : «أن الطفل ملك للوطن قبل أن يكون ملك أبيه » . .

ومثال «أدولف هتلر» الذي فقد أباه حين كان في الثالثة عشرة من عمره يندرج في الخانة ذاتها ، إذ قال سنة ١٩٣٣ في مقابلة أجرتها معه صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية : «يجب القضاء على الأنانية الفردية، وقيادة : الشعب نحو الأنانية الجماعية المقدسة التي تدعى الوطن» .

فمن الواضح أن «هتلر» وضع المثال في مفهوم الأب الذي لم يعرفه جيداً . . ثم عكس هذا المثال على المجموعة البشرية التي انتمى إليها ، واضعاً نفسه في صورة هذا المفهوم الأبوي ، ومنصباً نفسه أباً للوطن بجملته . . فيما أنه لم ينعم بالأب . . وضع نفسه أباً للجماعة التي انتمى إليها ، وزعيماً ومنفذاً . .

*** حين يغيب مثال الأب :**

من المثير للعجب أن نظرة على بعض اليتامى الذين نشأوا في ظل أزمة غياب الأب ، وتوصلوا فيما بعد إلى القيادة ، تبين أن منهم من خط صفحة إيجابية في تاريخ البشرية . . ومنهم من لطخ هذا التاريخ بجوره وبطشه بعد أن نصب نفسه «أباً» لقومه ، وأطلق ليديه حرية التصرف حسب ما تراه شخصيته مناسباً . .

وقبل «هتلر» ، عانى «نابليون بونابرت» في طفولته من غياب الأب دائم الأسفار . . وقد سيطر الطفل «نابليون» على أقرانه في أوقات اللهو ، وتزعم عصابة أولاد مشاغبين ، بينما كان الأب غارقاً في ملذاته غير آبه بتربية ولده . .

وأقام «نابليون» خمس سنوات في مدرسة داخلية من دون أن يشاهد أهله ، ولو مرة ، وهناك حين كان في الرابعة عشرة من عمره ، علم بوفاة أبيه . . وقد توافقت هذه الفترة مع اشتداد حمية «نابليون» لقضية استقلال جزيرة «كورسيكا» مسقط رأسه ، ذاهباً إلى حدود التمثل بهذه القضية . .

وثمة تشابه بين مسيرة «نابليون» إلى الزعامة ومسيرة الجنرال «فرانسيسكو فرانكو» الذي حكم «أسبانيا» بيد من حديد طوال عشرات من السنين . . فقد كان شديد الإحتقار لأبيه المغامر والعابث ، بينما اعتبر أمه قديسة . .

وكان «فرانكو» الطفل شديد الخجل والأنطواء ، تمكن في الخامسة عشرة من عمره من الإنتساب إلى المدرسة الحربية ، حيث وجد على الأرجح . . نوعاً من السعادة ، و «اجواء عائلية» طبعته حتى وفاته . .

واستمر «الجنرال فرانكو» على تجاهله لأبيه إلى أن مات هذا الأخير . . وكانت عدة سنوات قد مضت على انتصار الديكتاتور على الجمهوريين ، دون أن يحظى الأب بالتفاتة أو بكلمة من إبنه . .

وقد اكتفى «فرانكو» بحضور قداس عن روح أبيه الراحل ، وأرسل إلى المقبرة فرقة من حرس البحرية أدت له التحية . .

ثم ما الذي دفع بأمبراطور «افريقيا الوسطى» السابق «بوكاسا» إلى العودة إلى بلاده في الشتاء الماضي ، رغم علمه بما ينتظره هناك ، سوى شعوره «بأبوة» شعبه ؟ فهو كان في السادسة من عمره حين أعدمت السلطات والده ، وحين انتحرت أمه بعد ذلك بأيام ، فتربى في عهدة خاله . .

وقد قاتل «بوكاسا» في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية تحت قيادة الجنرال الفرنسي «ديلانج» الذي كان يتلقى أوامره من الجنرال «ديجول» مباشرة . .

ومنذ تلك الفترة ، أفرد الكابتن «بوكاسا» إعجاباً منقطع النظير بديجول حيث كان يعتبره أباً له . .

وبعد استيلائه على الحكم في أفريقيا الوسطى «عام ١٩٦٦ ، قرر «بوكاسا» عام ١٩٧٧ تنصيب نفسه امبراطوراً مطلقاً العنان لسطوة كبيرة حقق عبرها أحلامه في سلطته لا ينازعه عليها أحد ، شبيهة ، حسب علماء النفس بسلطة الأب على اطفاله . .

وكان من الزعماء النادرين الذين كانوا يفرجون عن النساء السجينات بمناسبة «عيد الأم» ، وفي الوقت نفسه ، لم يكن يتردد في الضرب بيد من حديد على كل من يعارض سلطته . .

*** عادل أو ديكتاتور :**

أما المستشار الألماني السابق «فيلي برانت» ، فقد كان طفلاً غير شرعي أشرفت أمه بمفردها على تربيته ، واستحقت منه شديد الإحترام والولاء ، بينما لم يحاول فيما بعد معرفة هوية والده . . والملفت للنظر في رجل الدولة هذا هجرته إلى «النرويج» حين استولى النازيون على الحكم في «ألمانيا» وعودته إلى بلاده بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ . .

وكان قد بدل إسمه وتزوج من نرويجية ، وكأنه بذلك أراد منح نفسه هوية جديدة . .

ورغم كل ما حققه «فيلي برانت» من نجاح خلال ممارسته السلطة العليا في «ألمانيا الغربية» ، لم يأت أبداً على ذكر طفولته التعيسة . .

وحين سأله أحد الصحافيين عن هذه المرحلة من حياته ، رفض المستشار الإجابة مكتفياً بالقول : «ان الوقت لم يحن بعد للحديث عن هذا الموضوع» ، وكان يؤكد على عمق الجرح الذي أصابه بسبب غياب أبيه . .

ويعتبر مثال «لينين» خير دليل على تمثل الولد بأبيه ، أو بأحد أفراد العائلة لدى غياب هذا الأب وتحقيق ما لم يتمكن هذا المثال من تحقيقه . .

فقد مات أبوه حين كان في الخامسة عشرة من عمره ، مما دفعه إلى اعتماد شقيقه الأكبر مثالاً ، لكن سرعان ما تحطم هذا المثال حيث أعدم الشقيق بعد أن شارك في انتفاضة فاشلة ضد النظام القيصري في روسيا . .

وقد قال «لينين فيما بعد : «إن موت أخي قد رسم طريقي» . . وبالفعل

ساهمت هذه المأساة في شق «لينين» لطريقه السياسي حتى حقق الثورة في بلاده ، وهي الثورة التي فشل شقيقه في تحقيقها . .

وقد لاحظ المقربون من «لينين أن عدائيته للنظام القيصري قد برزت بحدة شديدة منذ موت هذا الأخ . .

وتمتد لائحة السياسيين اليتامى إلى حدود لا حصر لها ، يجمعهم عامل الإفتقاد ، منذ سن باكرة ، لسلطة الأب الحقيقية القائمة على الرأفة والصراحة في آن معاً . .

ونتيجة هذا الحرمان ، وبحسب الصورة المثالية التي شكلها هؤلاء الأطفال في نفوسهم ، جاء سلوكهم حين وصلوا إلى السلطة . .

فمنهم من اصطبغت سياسته بالحكمة والديمقراطية بعد أن كان مثاله إشاعة العدل الذي حرم منه حين كان طفلاً . .

ومنهم من شاء الإنتقام لحرمانه المبكر ، فجاء سلوكه في السلطة مشبعاً بالقسوة والرعونة ، يضطهد شعبه ، وفي ظنه أن هذه القسوة هي لصالح هذا الشعب الذي ربما يحمله بشكل ـ لا شعوري ـ ذنب الحرمان الذي أصابه في طفولته حيث أفتقد أباه أو أمه أو الإثنين معاً . .

* * *

«محاكمة الأمبراطور الغامض»

* بوكاسا : يواجه ٤٠ تهمة من بينها قتل معارضيه . . وأكل لحومهم . .

* * *

الامبراطور «جان بيدل بوكاسا» امبراطور «أفريقيا الوسطى» السابق ، هـو أول أمبراطور في التاريخ على قبائل ، وليس على ممالك . .

وكان حاكماً لبلاد ـ هو معروف أكثر منها ـ تنتج الماس والـذهب ، ويعيش أهلها في فقر عظيم . . إعتنق المسيحية ثم الإسلام ثم عاد مسيحياً مرة أخرى في بلاد لا تؤمن إلا بالوثنية . .

اليوم يحاكمه أتباعه وأقرب المقربين إليه ، على تهم وجرائم حدثت وأخرى مشكوك فيها . وكلها تتعلق بقتل معـارضيه ، حتى أنـه قيل عـلى لسان المـدعي العام . . ومن وقائع قرار اتهامه أنه أكل بنفسه بعض أعدائه واستمتع بشواء لحم معارضيه وتقديمه إلى ضيوفه على موائد فاخرة . .

إنها محاكمة ممكنة الحدوث ، بعض وقائعها مـألوف ، حـول شخصية غـير مألوفة ، ولو كـانت في بلدٍ مهم ، والمتهم فيها شخصـاً آخر أهـم من «بـوكاسـا» لكان من السهل اعتبارها محاكمة العصر . .

قائمة الإتهامات تصور رجلاً من رجال العصور البدائية الدمويين ، سرق أموال شعبه وبنى بها قصوراً فاخرة تتساوى مع الفخامة التي تصورها لنفسه ، كما شيد قلاعاً زودها بكل أدوات التعذيب والقتل الممكنة في عصرنا الحديث . .

فهم يصورون قصر «كولونجو» الذي كان يعيش فيه على أنه أفخم قصر في كل «أفريقيا» ولكنه كان يحتوي على غرف تشبه الجحيم ، كانت تحتوي على ثلاجات سوداء كبيرة كانت تعلق فيها جثث الضحايا بعد قتلهم تمهيداً لذبحهم وإعدادهم للموائد . .

وكان «بوكاسا» لا يجلس على عرشه في هذا القصر إلا مصحوباً بأسدين كان يستمتع بوضع ضحاياه المرشحين للقتل وسطهما لعدة ساعات . .

وقيل أيضاً : أنه غضب ذات يوم على حارس هذين الأسدين ،الذي كان ضابطاً في وزارة الداخلية ، فوضعه بينهما ، وأمر الأسدين بالهجوم عليه والتهامه ، ولكن الأسدين رفضا فكان أن غضب عليهما ، وأمر بقتلهما لعصيانهما أوامره ، وإلقاء الحارس إلى «التماسيح» . .

وثمة قصص كثيرة من هذا النوع ، وشجع على الإقتناع بها شخصيته المتعاظمة على شعب بائس ، وكونه كان حاكماً مترفاً في بلد يعيش حالة فقر.

كما أن هناك قصصاً أخرى لها أبعاد سياسية ما زالت غير معروفة ، مثل تلك الفضيحة التي انفجرت منذ عدة سنوات ، وارتبطت بإسمه وبإسم رئيس جمهورية «فرنسا» السابق «جيسكارديستان» . . فقد أعلن وقتها أن الرئيس الفرنسي تلقى هدايا كثيرة من الماس المجوهرات الأفريقي كرشوة . .

وعلى الرغم من أن أخبار الفضيحة ظلت مستمرة لفترة في صحف «فرنسا» وأن «جيسكارديستان» لم ينكر أمر الهدية ، فقد تطور الأمر إلى فضيحة كبرى ، خصوصاً بعد أن قيل أن عدداً كبيراً من أعضاء الحكومة الفرنسية تلقوا

هدايا مماثلة ولا يعرف أحد حتى الآن كيف انفجر الأمر بتلك الصورة ، أو ماذا كان يريد الامبراطور من «ديستان» . .

إن «بوكاسا» يعتبر من أكثر الشخصيات ـ التي أخرجتها أفريقيا ـ غموضاً ، وكأنه غابة من غاباتها التي لم يقتحمها أحد من قبل . .

وحتى بعد أن عزل وأمضى فترة في منفاه في «فرنسا» لم يبارحه الغموض كصفة أساسية لشخصيته وفترة حكمه . فهو أولاً قد ترك منفاه الفرنسي وقرر بنفسه العودة إلى بلاده لحضور محاكمته ، وهو يعلم أنه قد سبق الحكم عليه بالإعدام غيابياً من قبل . فهل يذهب إلى بلاده مختاراً لكي يعدم أو أنه أجبر على الذهاب .

ومما يزيد الأمر غموضاً أن حرس المحاكمة يقوده «كولونيل» فرنسي . . وأن هيئة الدفاع الموكلة عنه مكونة من إثنين من المحامين الفرنسيين ، فهل أرسلته فرنسا لكي يواجه مصيره بنفسه في الوقت الذي يلعب ممثلوها دورين متناقضين هما دور الحراسة ودور الدفاع ؟ . .

وكيف تخلى عنه أصدقاؤه «الفرنسيون ذوو النفوذ ، بل وأين نفوذ «فرنسا» نفسها من تلك المحاكمة ؟ . .

ثمة أسئلة عديدة لم تظهر لها أجابة حتى الآن ، ويعزز من غموضها أن جماهير عديدة أحاطت بقصر العدل أثناء المحاكمة وراحت تهتف «عاش الأمبراطور . . عاش الامبراطور» . . ولم يستطع الحرس أن يمنع هذه المظاهرة . . فاضطر الرئيس الحالي «أندريه كولينجبا» إلى أن يأمر بتعزيز الحرس فهرع إلى القصر أكثر من نصف جنود القوات المسلحة . .

وكانت رئاسة المحكمة تتوقع أن لا تستمر المحاكمة إلا عدة أيام فقط فاذا . . بالتطورات تشير إلى أنها ستكون محاكمة طويلة . . وكان التقدير الأول هو أنها ستستمر أربعة أيام فقط فاذا باليوم الرابع يأتي وهي لم تنته فبدأت الصورة تتغير حيث كان الظن أنها محاكمة شكلية أعد لها الحكم مسبقاً ، إلا أن

مشكلة برزت عندما فشل الادعاء في اثبات أية تهمة من التهم على الامبراطور المسجون . .

ولقد شهدت المحاكمة دراما غريبة لم يعرف أمر تفسيرها حتى الآن . فعندما حل ميعاد التحقيق في مقتل الكولونيل «بانزا» الذي مات أو قتل حسب ما جاء في قرار الاتهام ، بتعليمات من «بوكاسا» نفسه ، اذا بأقارب الكولونيل «بانزا» يدخلون القاعة ويتكاتفون مع «بوكاسا» الذي يفترض أنه قاتل قريبهم . . وهكذا عجزت المحكمة عن أثبات اتهام «بوكاسا» بالقتل العمد . .

وعندما جاء ميعاد الاستماع إلى شهادة وزير الداخلية السابق «كوروزون كازين» ، والذي يعتبر مسؤولاً عن تنفيذ كثير من الجرائم بتعليمات من رئيسه . . «بوكاسا» تعرض الرجل لهتافات معادية من القاعة مما أوضح أنه كان مكروهاً من الشعب أو على الأقل من الحاضرين أو ممن هم على شاكلتهم . . الا أن المحاكمة انتهت من هذه الشهادة بعجز كامل عن أثبات أية تهمة . وشيئاً فشيئاً بدأت المحكمة تشعر أنها مواجهة بضرورة استدعاء ٦٠ شاهداً جديداً وكلهم من الشخصيات الأساسية في الدولة ، والتي عملت تحت رئاسة الامبراطور السابق . . وعلى الرغم من أن هيئة المحكمة تملك حق رفض وجود هؤلاء الشهود ، الذين سيحضرون بناء على طلب الدفاع . . إلا أن ذلك سيحدث حرجاً بالغاً للدولة خصوصاً وأن المحاكمة علنية وأي خدش أو مساس بأي طلب من طلبات الدفاع سيلقى بظلال كثيرة من الشك على سلامة المحاكمة وتنتهي بأن تحيل «بوكاسا» إلى شهيد أو بطل . .

كل الشواهد تشير إلى أن هذه المحاكمة ليست مهزلة ولكنها مأزق . .

ولكن هل هي مأزق للنظام الذي أراد أن يحاكم نظاماً سابقاً ، فوجد أن المحاكمة يمكن أن تنقلب عليه وتكسب «الامبراطور» السابق تعاطفاً لا يستحقه ؟

أم أنها مأزق لـ «بوكاسا» الذي غادر منفاه وعاد إلى بلاده ليواجه العدالة

واحتمال الحكم عليه بالاعدام ظناً منه أن عودته قد تحيله فجأة إلى بطل ؟

وهل هي مأزق لفرنسا التي قد تبدو الان وكأنها أرغمت «بوكاسا» على مغادرة ملجأه أو هي غضت النظر عن ذهابه لمواجهة القصاص ؟ وهل صحيح أن «فرنسا» سوف تحقق مكسباً أساسياً من محاكمة «بوكاسا» ، وهو المحافظة على نفوذها في «أفريقيا الوسطى» ؟

إلا أن كل هذه المآزق قد تكون وهمية ، فالواقع هو أن العالم يشهد الآن محاكمة علنية لرجل صديق لفرنسا يحاكمه أصدقاء جدد لفرنسا من أهل وحكام البلد تحت حراسة يقودها فرنسيون ودفاع فرنسي ، بل أن البعض يذهب أبعد من ذلك ليقول أن المحاكمة هي وسيلة لتبرئة «بوكاسا» خصوصاً بعد أن فشل الاتهام في اثبات أية تهمة ضده حتى الان ، لعل هذه هي النتيجة المنطقية الوحيدة التي يمكن استخلاصها من هذه المحاكمة وطريقة سيرها . وغير هذه النتيجة سيكون حكماً على . . النفوذ الفرنسي نفسه . . فاعدام «بوكاسا» أو سجنه معناه أنه لا يمكن الثقة بفرنسا وبصداقة «فرنسا» ولا بد أن هناك ضمانات لا نعرفها ، وأن «فرنسا» في لحظة ما خشيت الاخلال بهذه الضمانات فبعثت برجالها ومحاميها وكفلت سيرها الديمقراطي . . وكل ذلك لا يصب في خانة أحد الا فرنسا نفسها . .

أليست هذه محاكمة تاريخية فعلاً بمعنى أنها عمل ديبلوماسي رائع محكم . .

ان هذه النتيجة ليست بعيدة كثيراً عن الحقيقة مهما حدثت تقلبات أو مفاجآت أو تغيرات أثناء بقية المحاكمة التي ستبقى بعد انتهائها تجربة أخرى مغلفة بالغموض في تاريخ متهم غامض .

* * *

النجم الذي
«جاع ونام على الرصيف»
ثم أصبح يملك نصف مليون جنيه

* يقول الاستاذ مصطفى أمين :

كنت أحرر صفحة «المسرح والسينما ، وذات يـوم زارني شاب أنيق واسـع العينين أسود الشعر وقال أنه من هواة التمثيل ، وطلب مني أن استعمل نفـوذي لدى «يوسف وهبي» لكي يلتحق بمسـرح رمسيس . . ولم يكن لي أي نفوذ عنـد «يـوسف وهبي» ، ولكني خجلت أن أظهـر أمـام هـذا الشـاب المبتـدىء أنني صحفي صغير لا حول لي ولا قوة فجلست وكتبت خطاباً إلى صديقي «يـوسف وهبي» أقدم له صديقي . . هنا توقفت وسألته :

- ما إسمك ؟

قال : محمد أنور يحيى وجدي .

قلت له :

- الإسم ليس فيـه مـوسيقى ولا يصلح للسينـما أو المسـرح وإنمـا يصلح لموظف في الأرشيف في مصلحة الأموال المقررة . .

قال :

- هل ينفع «أنور وجدي» ؟



أنور وجدي

قلت : نعم على وزن «يوسف وهبي» . .

ولكن «يوسف وهبي» ألقى بالخطاب في سلة المهملات وألقى بصديقي «أنور وجدي» خارج المسرح . .

ومضى «أنور وجدي» يتسكع على أبواب «المسرح» ويحاول عبثاً الدخول ، وبقي يقطع شارع «عماد الدين» ذهاباً وإياباً ، ينظر إلى الممثلين والممثلات يدخلون من الباب الخلفي في مسرح رمسيس ، ويرفع يده بالتحية وقليل منهم كان يرد عليه أو يلتفت إليه . .

وذات مساء رأى ازدحاماً أمام «مسرح رمسيس» ، وسيارة المطافىء تحاول إطفاء حريق داخل المسرح ، واندفع «أنور» إلى المسرح مع رجال المطافيء وراح يطفىء معهم الحريق ، ويقاوم النيران بشجاعة وجرأة استلفتت نظر الأستاذ «قاسم وجدي» مدير «مسرح رمسيس» في تلك الأيام . وسأله عن اسمه . ودهش أن اسمه «وجدي» مثله واقترح عليه أن يشترك مع الكمبارس في مسرحية «يوليوس قيصر» مقابل قرشين صاغ كل ليلة . .

وقبل «أنور» المبلغ التافه بدون مناقشة ، وكان هذا المبلغ يكفيه للإفطار والغداء والعشاء . وكان يفطر بطبق فول مدمس ورغيف في الصباح ويتغدى «طبق فول» في الظهر ، ويتعشى «طبق فول» في المساء .

وكان سعيداً بهذه الثروة الطائلة التي نزلت عليه من السماء بعد أن طرده أبوه من البيت ، وبعد أن طردته «المدرسة العبيدية» ، لأنه أغرى زميليه معه بالهروب والسفر إلى «أمريكا» ليتعلموا السينما في «هوليود»

واندس الفرسان الثلاثة في باخرة في «بور سعيد» واختفوا بين الركاب ، ولكن أحد ضباط الباخرة ضبطهم ، واكتشف أنه ليس معهم تذاكر سفر . وليس في جيوبهم إلا بضعة ملاليم ، فسلمهم إلى البوليس ، وأبلغ البوليس الأمر إلى المدرسة العبيدية ، فقررت فصل «أنور وجدي» بصفته «زعيم العصابة» . .

وبعد أكثر من عام أتصل بي «أنـور وجدي» وقـابلته ، وقـال : أنه التحق بمسرح رمسيس ، وأنه يمثل دوراً هاماً في رواية «يوليوس قيصر» ، . . ودعاني إلى مشاهدة الرواية ، والكتابة عنها في المجلة .

وذهبت إلى مسرح رمسيس فوجدت «أنور» يظهـر في المسرحيـة من الفصل الأول إلى الفصـل الأخير . واكتشفت أنـه لم يفتح فمـه طوال الـرواية . لم يقـل كلمـة واحدة . كـان دوره أن يـدخـل خلف «يـوليـوس قيصر» ، ويخـرج خلف «يـوليـوس قيصر» ، وقـد وضـع يـده عـلى قبضـة سيف ، لم يستعمله طـوال الرواية . .

وحرت ماذا أفعـل ؟ أن دور «أنور وجـدي» هو «كمبـارس» في الروايـة ، وقد جئت وأنا أظن أنه يقوم بدور «يوليوس قيصر» أو «أنطونيو» أو «بروتس» على أقل تقدير ، وبعد الرواية وجـدت « أنور » ينتـظرني أمام البـاب ، ومعه صـورة بروفيل له ، وقد كتب تحتها بخطه « نجم جديد في سماء مسرح رمسيس » .

وقلت لـه أنـه من غـير المعقـول أن أكتب عنـه وهـو لم يفتح فمـه طـوال المسرحية . . وإذا بأنور يبكي بدموع حقيقية ، ويقول لي أنه لو نشـرت صورتـه في المجلة فسيـرتفع أجـره من «قرشـين صاغ» في الليلة إلى «خمسـة قـروش» . . وأعـترف أن دموع أنـور «هـزتني» ، وقـد تكلم بصراحـة غـريبـة عن جـوع ، وجلست وكتبت نقـداً لمسرحيـة «يوليـوس قيصر» ، وحرصت أن أكتب ثـلاثة أسـطر عن « يـوسف وهبي » وثـلاثـين سـطراً عن « أنــور وجـدي » ، ولم ينشر « الأستــاذ التابعي » المقال . . ولم يقتنع أن المسألة مسألة حياة أو موت فنان شاب . .

وقاطعني «أنور» ، وكان المسكين يظن أن نشر صورته وكتابة بضعة سطور عنه ستجعله يصبح حديث المدينة ، وأن فتيات مصر سيفرحن به عندما يشاهدن صورته ، وقد كانت صورته جميلة فعلاً . .

ومضت الأيـام ، ثم أصبح «أنـور» كومبـارس ثابتـاً في مسـرح رمسيس ، وارتفـع أجره من «قـرشين صـاغ» في الليلة إلى «خمسة قـروش» ، ثم إلى «عشرة

قروش» ثم إلى «خمسة عشر قرشاً» وبعد خمس سنوات جاء «أنور» إلى مكتبي بالمجلة يحمل نسخة من «مجلة الصباح» ، وكانت مجلة مشهورة . . تهتم بأخبار الفنانين وقال لي فخوراً : هل رأيت صورتي ؟ .

ورأيت صورة «أنور» في فيلم «الدفاع» وسألته عن المبلغ الذي تقاضاه . فقال «أنور» أنه تقاضى أكبر أجر تقاضاه ممثل سينمائي في «مصر» ، فسألته عن المبلغ فقال : «ستة جنيهات» . وسألته : ماذا فعل بالمبلغ ؟ فقال : اشتريت به ثلاثة بدل ، وكانت البدلة التفصيل في تلك الأيام تساوي « جنيهين أثنين » . .

وجلس «أنور» يروي لي ما يعانيه من جوع وحرمان وهو يضحك . .

وقد عاش «أنور» قصة كفاح رهيبة مريرة . أمضى أكثر أيامه الأولى دون أن يذوق طعاماً ، وكان يتناول الإفطار على حساب «محمود المليجي» ، ويتناول طعام الغداء على حساب الممثل «سعيد أبو بكر» ، ويتناول طعام العشاء على حساب النجم «استفان روستي» . وأحياناً كان لا يجدهم أياماً ، فيمضي دون أن يذوق طعاماً في هذه الأيام . . وذات مساء أغمى عليه في شارع عماد الدين . . وأسرع المارة يلتفون حوله لإسعافه . . واقترح واحد منهم نقله إلى الإسعاف في تاكسي . .

وهنا فتح «أنور» عينيه وقال :

ـ يا ناس بدل ما تودوني الإسعاف ، أحسن تودوني مطعم الحاتي آكل لحماً . . أو احملوني إلى مطعم «أبو ظريفة» آكل طعمية . .

عرف حياة التشرد والبؤس والفاقة ، وذاق مرارة الجوع والحرمان ، وكثيراً ما كان لا يجد أجر غرفة يبيت فيها ، فكان يذهب إلى «مقهى الفيشاوي» ويجلس عليه وينام فوق الكرسي إلى أن يطرده «الجرسون» ، ثم عرف عاملة مانيكير أسمها «نيللي» وعشقته عشقاً مجنوناً .

وكان يذهب إلى بيتها في «غمرة» ويتناول الإفطار ثم يذهب إليها في وقت

الغداء ، وكانت كثيرة المشاجرة معه ، وتغار عليه من إعجاب بنات الحي . . وتطرده من بيتها فيعود إلى حياة الجوع والتشرد من جديد . .

وكان والده يعطف عليه أحياناً ، ويدعوه إلى بيته ، وينصحه أن يترك الفن الذي جعله «يشحذ» . . كما كان يقول ، ويصبح مثله تاجر قماش ، وكان «أنور» يرفض أن يترك الفن الذي يهواه ، فيضطر والده أن يطرده من جديد . .

وكان «أنور» يقص عليّ هذه القصة ، ويقول أنه كان يتظاهر بأنه سوف يطيع أوامر والده حتى ينتهي من تناول الغداء ، وعندئذ يعلن العصيان ، فيعود أبوه إلى حرمانه من دخول البيت . .

وكانت أمنيته في تلك الأيام أن يصل مرتبه إلى «١٥ جنيهاً» ، ينفق منها عشرة جنيهات على الملابس ، وجنيهين على التاكسيات ، وثلاثة جنيهات على الطعام والمسكن . . وكان حريصاً أن يبدو دائماً أنيقاً ، وكان يتصور أن أناقته هي التي ستدفعه إلى المجد ، أو كما قال لي مرة . . أنه سوف يصعد جبل المجد عن طريق «الترزي» . .

ثم أصبح يبذل جهداً مضاعفاً في عمله ، وكان يحفظ جميع أدوار الممثلين والممثلات ، وكان يفرح إذا مرض واحد منهم حتى يمثل دوره . . وذات ليلة غابت ممثلة صغيرة ، وبحث «يوسف وهبي» عن ممثلات فلم يجد ، وإذا بأنور وجدي يتنكر في ثوب امرأة ويقوم بدور الممثلة الصغيرة ، ولم يكتشف أحد من الجمهور أن هذه الممثلة الفاتنة هي رجل اسمه «أنور وجدي» . .

وحدث أن قرر «يوسف وهبي» أن يسافر إلى «أمريكا» مع فرقته المسرحية . . وهرول «أنور» إلى «يوسف وهبي» يتوسل إليه أن يكون أحد أعضاء الفرقة في هذه الرحلة . ورفض «يوسف» وقال أنه سيأخذ فقط معه كبار الممثلين وذلك اختصاراً للمصاريف . .

وألح «أنور» وبكى وتوسل ، ورق قلب «يوسف» ، وقبل أن يصحبه إلى «أمريكا» بشرط ألا يأخذ مليماً واحداً كأجر طوال هذه الرحلة وأن يمثل ، ويعمل

في إدارة المسرح ، ويعمل عاملاً للملابس ونجاراً وفراشاً في نفس الوقت ، وقبل «أنور» هذه الشروط القاسية وقال إن كل ما يطلبه أن يأكل وينام . . ووافق «يوسف وهبي» . .

وكان السبب في قبول «أنور» لهذه الشروط القاسية المهينة ، أنه تصور أن هذه هي الطريقة ليحقق حلمه بالسفر إلى «أمريكا» ، ليصبح نجماً سينمائياً في «هوليود» . . وكان يعتقد أنه يشبه الممثل «روبرت تيلور» فاتن النساء في تلك الأيام . . وسافر إلى « أمريكا » ولم يهتم به أحد ، ولم يلفت نظر فتيات ونساء العم « سام » ، وعاد بعد انتهاء الرحلة مقهوراً محسوراً يائساً . .

وعاد «أنور» يعيش على الطعمية والفول المدمس ، وكان ينام على دكة خشبية في كواليس المسرح ، بعد أن عقد صداقة حميمة مع بواب المسرح . . فإذا انصرف الممثلون والممثلات في آخر الليل ، فتح له البواب ودخل «أنور» وكانت بعض الليالي قارصة البرد ، ولم يكن يملك معطفاً ، ولا يجد بطانية في المسرح ، وكان يسحب بعض مناظر الروايات القديمة ويغطي بها جسمه وينام . .

وأصيب «أنور» بسبب هذا الحرمان المرير بعقدة اسمها «الفلوس» . . توهم أن الفلوس هي كل شيء في الحياة . . أصبح يريد أن يجيد في فنه ليشتهر ، ويريد أن يشتهر ليكسب الفلوس ، وأذكر أنه في تلك الأيام أن السيدة «زينب صدقي» كانت نجمة في المسرح القومي ، وأعتادت أن تقيم مآدب في شقتها تدعو إليها زملاءها وزميلاتها في المسرح وكبار الكتاب والصحفيين، ودعت «أنور وجدي» الممثل الصغير بالفرقة الحضور . . وفرح «أنور» بهذه الدعوة لأنه سوف يتعشى مجاناً ، وتطرق حديث الموجودين عن الحب والمجد والصحة والمال ، أيهم أهم للإنسان . .

وقالت زينب صدقي :

ـ المهم الصحة أولاً . .

وهنا قفز «أنور» من مقعده ، وشب واقفاً على قدميه وصاح :

ـ صحة إيه يا ست زينب .

ثم رفع أنور يديه إلى السماء وقال :

ـ يا رب أعطني نصف مليون جنيه و «سرطان» . .

وصرخت «زينب» في وجهه قائلة :

ـ أسكت يا « مجنون » .

«وانفجر الحاصرون يوبخونه ويلعنونه وهو يصر أن الفلوس أهم من الصحة وأهم من الحب وأهم من المجد ، وأنه بالفلوس يستطيع أن يحصل على الحب والشهرة والمجد والنعيم . .

* * *

وقام في أول الأمر بتمثيل الأدوار الشريرة ، ونجح بسرعة في هذه الأدوار ، وأصبح أي مخرج يجد رواية فيها لص أو نصاب أو محتال يسرع للإتفاق مع «أنور وجدي» الذي يقتل والإبتسامة على شفتيه .

وتألق «أنور» ثم انتقل من دور «الشرير» إلى دور «الفتى الاول» ، وإذا به يستولي على إعجاب رواد السينما بسرعة غير عادية ، وينطلق كالصاروخ من فيلم إلى فيلم ، وانهالت عليه الأموال بالألوف ، وأصبح متعهدو الأفلام في البلاد العربية يتعاقدون فوراً على أي فيلم فيه «أنور وجدي» . . في يوم وليلة أصبح نجماً ، وأصبح يستطيع أن يدعو عشرة أشخاص ليتناولوا العشاء على حسابه في فندق «شبرد» .

وتزوج الممثلة الجميلة «إلهام حسين» ثم اكتشف أنها لا تصلح لأن تكون زوجة مليونير ، وطلقها ، ثم أحب النجمة «ليلى مراد» حباً مجنوناً . . وعرض عليها الزواج فرفضت ، وألح عليها . وطاردها في كل مكان ، واشترطت أن تعمل في أي شركة غير شركة زوجها ، فقبل «أنور» ، واشترطت أن تدفع شركة

«أنور» أجر كل دور تمثله في أفلامه مقدماً ، وقبل «أنور» . . واشترطت أن يبقى حسابها في البنوك مستقلاً عن حساباته ووافق «أنور» . . وتزوجا . . وكتبت الصحف والمجلات عن أسعد زوجين في العالم ، وعن الحب الذي اشتعل بعد الزواج . .

وفي سنة ١٩٤٧ ألفت قصة «فاطمة» بناء على طلب «أم كلثوم» اشترطت أن اختار المخرج والممثلين والممثلات ، ووافقت«أم كلثوم» و «محمد رشدي بك» رئيس مجلس إدارة شركة مصر للسينما . . واخترت «أنور وجدي» ليمثل الدور الأول أمام «أم كلثوم» . وعلم «أنور» أنني رشحته فجاء إلى مكتبي يشكرني وقال أن أمنيته كانت دائماً أن يمثل الدور الأول أمام «أم كلثوم» قلت له :

ـ أنني لم أنس المحاولة التي قمت بها عندما رشحتك لتمثل مع يوسف وهبي «منذ ١٥ سنة» .

قال وهو يضحك :

ـ يبقى خازوق لو كان استديو مصر صديقك مثل « يوسف وهبي » . . ولكن الله سلم ورحب ستوديو مصر بأنور وأعطاه نصف أجر « أم كلثوم » . .

وبعد أسابيع جاء «أنور» يحتج على هذه الرواية ، ويقول أنه يفضل أن يموت من الجوع ولا يمثل هذا الدور . كيف تجعلني أموت قبل انتهاء الفيلم بربع ساعة وتبقى «أم كلثوم» على قيد الحياة إلى نهاية الفيلم . . وقلت له أن هذا هو سياق القصة ، وأن المخرج «أحمد بدرخان» وافق عليها ووضع السيناريو .

قال «أنور» أن «أم كلثوم» أكبر منه بعشر سنوات على الأقل فكيف تعيش وأموت أنا ، أنا لا أريد أن أموت . . أريد أن أعيش حتى ينتهي الفيلم قلت : أنني آسف لأنني لا أستطيع أن أغير أو أبدل نهاية الفيلم .

وأرسل لي «أنور» زوجته في ذلك الوقت «ليلى مراد» لإقناعي بأن أبقي «أنور» حياً . . وقلت لها : أن القصة لا تستقيم إلا إذا مات «أنور» لأنه غرر

بممرضة فقيرة واستولدها ولداً ، وكتب عقد زواج عرفياً ، وهرب منها بعد أن سرق العقد ، تحت ضغط أسرته الكبيرة . .

وفي هذه اللحظة دخل «أنور» وقال : أنه يفضل ألا يمثل إطلاقاً على أن يقتله المؤلف في موعد غير مناسب ، وقال أنني بصراحة متشائم أن أموت في هذا الفيلم . . أنني أتصور أنني سأموت حقيقة إذا مت في الفيلم . . أنني شاب صغير وحرام أن تقتلني وأنا في ريعان الشباب . وتترك «أم كلثوم» العجوز على قيد الحياة .

وبكى «أنور» واعترف أنني ضعفت أمام دموعه ، وجلست أعدل خاتمة الرواية ، وجعلته يعيش إلى نهايتها . .

ولكن «عزرائيل» لم يقتنع بما اقتنع به مؤلف فيلم «فاطمة» . . فإن خاتمة روايات الحياة تختلف كثيراً عن خاتمة روايات الأفلام . .

ومات «أنور» فعلاً قبل وفاة «أم كلثوم» بعشر سنوات ، ولم تغير نهاية الفيلم الجديد قرار القدر . .

وكان «أنور» قد مثل الدور ودعاني إلى شقته الفاخرة في عمارة الإيموبيليا ، ودعا معي «علي أمين» و «كامل الشناوي» وعدداً من الأدباء والكتاب .

ولاحظنا أنه يعيش كما يعيش أصحاب الملايين . أثاث فاخر أنيق وبذخ وإسراف ، وخدم وحشم ، وكان أنور يبدو أشبه باللورد ، فقد كان المسكين يصلح ليقوم بدور «لورد» أو «مليونير» أكثر كثيراً من دور الفتى المفلس المتشرد .

وانتحى بي «أنور» جانباً ، وسألته هل هو سعيد بهذا الزواج فقال : جداً جداً . . ولكن «أنور» لم يكن سعيداً . . كان يبدو كرجل خائف من شيء مجهول . . كان أشبه برجل يقف في قمة الهرم . . ويتصور أن شيئاً مجهولاً سوف يدفعه إلى الأرض . . وكان يريد أن يكون غنياً جداً ليستطيع تكوين «الإحتياطي» اللازم ليقيه جوع الشيخوخة ، وكان يتصور أن كل شيء في حياته

مؤقت ، زواجه مؤقت ، ثروته مؤقتة ، نجاحه مؤقت .

كان أشبه براكب قطار اقترب من محطة الوصل ، فراح يتطلع من النافذة ثم يرتب حقائبه ، ثم يجمع صحفه استعداداً للنزول ، كان يضحك وهو يحاول أن يخفي النظرة الحزينة في عينيه ، ودعوته أن يجيء إلى مكتبي في الصباح لنتحدث في مشكلته على انفراد لأنه كان يخفض صوته ، ويتلفت حوله في جزع ، خشية أن تسمع ليلى مراد ما يقول :

وجاء إلى مكتبي ، وفاجأني بأنه أتعس زوج في العالم ، وأن أكبر غلطة ارتكبها في حياته أنه تزوج من «ليلى مراد» . إن غلطتي أنني تزوجت من نجمة مشهورة ، تعتقد أنها أشهر مني . تزوجت امرأة غنية تعتقد أنها ليست في حاجة إلى أموالي . . وقامت بيننا خلافات ، إن «ليلى» تعمل مع شركات سينمائية وأنا صاحب شركة سينمائية ، وبيني وبين هذه الشركات منافسات ، وأي فيلم تظهر فيه «ليلى» يضرب أفلامي وأنا أخشى أن تنجح وتقضي على أفلامي . . وأخشى أن تفشل وبذلك أفقد النجمة التي اعتمد عليها . .

قلت :

ـ إن هذا كلام جديد ، أنت قلت لي أنها اشترطت عليك أن تمثل مع شركات أفلام منافسة لشركتك وأنك قبلت هذا الشرط .

قال · نعم قبلت لأنني كنت أحبها جداً .

وسألته : والآن ؟

قال : احبها . . إنما أحب نفسي أيضاً . . أحب مصلحتي . . أحب شركتي . .

وعندما ضيقت عليه الخناق إعترف أنه كان يحلم أن يرزق بولد من «ليلى» يحمل إسمه ويرث ثروته . ولكن «ليلى» لم تنجب له «ولي العهد» الذي تمناه . .

وشعرت أنه يحبها ويغار منها ، ويتمنى أن تكرس حياتها وفنها له ولشركته

بغير شريك ، واستطرد وذكر أنها كلما وقع بينهما خلاف جمعت ملابسها وغادرت البيت . .

كان «أنور» يتمنى أن زواجه سيجعل «ليلى مراد» زوجة مطيعة تعامله معاملة السيد الحاكم الآمر الناهي . . وكانت شخصية «ليلى القوية» تقف في مواجهته مواجهة الند للند ، وكان يتهم أهلها بأنهم هم الذين يحرضونها على العصيان ، وطلقها بعد ذلك ، ثم ندم على طلاقها ، لأنه تصور أن طلاقها سوف «يؤدبها» ، ولكن «ليلى» رفضت أن تتأدب وتركع أمام الرجل الذي تحبه . . واضطر «أنور» أن يركع . ولم يطق أنور الركوع طويلاً ، فعاد وطلقها من جديد . وعاد يندم من جديد ويبكي . . فقد كان يظن أنها «عاقر» لا تنجب . . وإذا بـ «ليلى مراد» تتزوج من جديد وتنجب ولداً . وجن جنون «أنور» ، وكان دائماً يقول مصيبتي أنني لا أستطيع أن أعيش معها ولا أستطيع أن أعيش بدونها . .

وأشترى أنور قطعة أرض وبدأ يبني عليها العمارة التي كان يحلم بها ، في شارع «مظلوم» ، أمام جريدة «الأهرام» القديمة ، وكانت بالقرب من شقته بعمارة «ايموبيليا» ، وكان في كل يوم ينزل من شقته ويقف أمام العمارة ليشهدها وهي تعلو وتعلو ، وفي أثناء بناء العمارة شعر بآلام المرض الخبيث .

وحار «الأطباء» في أول الأمر ، ورفضوا أن يخبروه بالحقيقة المفجعة ، واشتدت الآلام المبرحة ، واضطر الأطباء أن يخبروه بنصف الحقيقة وأنه مريض بالكلى ، وفرضوا عليه أن يأكل الطعام المسلوق ، وكان يصرخ ويقول :

ـ معقول بعد أن ذقت الفراخ وتمتعت بالديوك الرومي أعود إلى أكل الفول النابت . .

وقال له الأطباء أنه في حاجة إلى كلية جديدة ، وكان «أنور» يتعذب من آلامه ويقول انه مستعد أن يدفع نصف مليون جنيه لمن يعطيه «كلية» .

وظهر أن السرطان أصاب «الكليتين» . .

واستمر يذهب إلى عمارته صباح كل يوم . وكان يقف أمامها ويقول :

ـ بقى ده كـلام يـا رب . . عنـدمـا كنت فقيـراً لا أجـد ثمن الـرغيف كـانت صحتي كالحديد . . وعندما انهالت علي «الفلوس» أصبحت لا أستطيع أن أذوق لقمة العيش . . هل معقول يا رب أن تحملني إلى سـطح «عمارة ايمـوبيليا» . . ثم ترميني من السطوح . .

وكان يتحدث عن الماضي أكثر مما يتحدث عن المستقبـل ، كان يضحـك من سخـرية القـدر به ، لانـه كان في المـاضي يمر أمـام المطاعم وليس معـه ثمن الطعام الفاخر . . واليوم يدخل المطاعم الكبرى وليس معه معدة تتحمل الطعام الفاخر .

وكان يقول لي :

ـ أضعت شبـابي أبحث عن الحب ، فلما التقيت بـالحب لم أجـد الشبـاب وحـرقت دمي وأعصابي بحثاً عن الفلوس ، فلما جـاءت الفلوس ذهبت الحيـاة انني مستعـد الان أن أعود فقيراً وأجوع من جـديد وتعـود لي صحتي ، خـذوا العمارة واعطوني «صحتي وشبابي» . .

كـان في بعض الأحيان يتصـور أنه لن يعيش ، فيقـرر أن ينفق كـل شيء ماله وصحته وأعصابـه . ثم فجـأة في غمـرة هذه السعـادة الصناعيـة يتوهم أنـه أصبح قوياً وسيتغلب على الموت ؛ فيبدأ يحسب ماله وصحته وأعصابه . . وهو لا يدري ماذا يفعل . أنه يتصرف كرجل محكوم عليـه بالإعـدام ، يأمـل في إيقاف التنفيـذ ثم يأمـل في تأجيـل التنفيذ ، ثم يـأمـل في أن يكـون قلب «عشمـاوي» رقيقاً ، وهو ينفذ فيه حكم الإعدام . .

كان في أيامه الأخيرة يعيش مع اليأس والأمل كان يمزج حديث الحيـاة مع حـديـث المـوت ، وينتقـل من وصف عمـارتـه الجـديـدة إلى وصف مقبـرتـه الجديدة . . وكان أصدقاؤه يتصورون في بعض الأحيان أنه يمثـل الموت ، ولكنـه كان في الواقع يموت حقيقة . . يموت تدريجياً ، وكـان في أيامـه الأخيرة يتحـدث

بسخرية عن المال الذي جمعه والشباب الذي أنفقه .. عن محاولاته للوصول إلى سماء الفن ويقول :

ـ كنت أدعو الله في شبابي أن يأخذني إلى سماء الفن ، أن أصبح «نجماً» من النجوم ، ويظهر أن دعائي لم يسمع جيداً ، أن كل شيء يدل على أنني صاعد إلى السماء بحق .

وكان يضحك .. وأصدقاؤه يبكون ..

كان شخصية عجيبة ، يثور ثم يغضب ، ويبكي ثم يضحك ، يقرر أن يقتل في الصباح «ناقداً» لأنه هاجم أحد أفلامه ، وفي المساء يدعو نفسه الناقد لتناول العشاء ..

وكان خفيف الروح يملأ الجلسة ضحكاً ومرحاً ، ثم ينقلب إلى وحش مفترس ، على استعداد أن يضرب كل الحاضرين .. وبعد أن يضربهم يعتذر لهم ويأخذهم بالأحضان ..

كان قلبه طيباً ، وكانت الفلوس هي نقطة ضعفه الوحيدة .. وعندما جاءت الفلوس ذهب «أنور وجدي» ..

* * *

* أضبط :

«الرؤساء يحبون أيضاً !»

* يقول الأستاذ أنيس منصور :

في يوم ٢٦ نوفمبر ١٧١٥ استدعى الملك لويس الرابع ملك فرنسا حفيده ليراه لآخر مرة . وطلب منه أن يقترب .. وأن يقترب أكثر .. وأخذ الملك «لويس الرابع عشر» يتحسس ذراعي حفيده .. ثم يضغط على ساقيه .. وعلى صدره وأن يقترب منه أكثر ليسمع أوضح .. قال لحفيده الذي صار لويس الخامس عشر» :

- «سوف تكون ملكاً على دولة عظيمة . وحاول أن تسالم جيرانك جميعاً لا تفعل مثلي . فأنا قد أحببت الحرب ، وأبهة القتال . حاول أن تريح أعصاب شعبك .. سوف يحبونك .. فإذا أحبوك غفروا لك خطاياك مهما كانت كبيرة .. ولم يتسع وقتي للحب .. فلا تجعل كل وقتك للحب ، بعض الحب يشفيك من السياسة : التي هي فن الكراهية» ..

* * *

ولكن الشعب الأنجليزي لم يغفر للملك «أدوارد الثامن» أن يحب .. وفي يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٦ أذاع الملك «أدوارد الثامن» على شعبه وعلى العالم :



فلوريس هارونج



جون كنيدي



ترومان



ايزنهاور



جونسون

ـ لقـد وجـدت من المستحيـل أن أنهض بـأعبـاء الحكم ومسؤوليـاتـه الضخمة ، دون مساعدة من المرأة التي أحببتها . .

* * *

والرئيس «كنيدي» هو الذي قال :

ـ «يجب على الرئيس أن يشجع الناس على كل شيء ، دون أن يساهم في ذلك . . أن يكون طباخ السم والسفرجي أيضـاً ، بشرط ألا يـذوق شيئاً ممـا استباحه الشعب لنفسه . .» .

وكان «كنيدي» كاذباً ، فقد استباح حرمات البيت الأبيض ، كما لم يفعل كثيرون من الرؤساء قبله . .

* * *

ولم يكن صحيحاً أن البيت الأبيض هو السجن الأسـود للرئيس . صحيح كـان سجناً ، ولكن حـدث في هذا السجن مـا يحـدث في السجـون الأخـرى : تهريب الطعام والشراب والفتيات وتهريب السجين نفسه . .

ومع أمتع الكتب التي قرأتها أخيـراً كتاب بعنـوان «والرؤسـاء يحبون أيضـاً «للكاتبة» ليني جولدشتين» . .

فالرئيس «ولسون» ـ مثلاً ـ تـزوج للمرة الثـانية . . ورغم الشـائعات التي تقول أنه كان يعرف زوجته الثانية ، عندما كانت الزوجة الأولى مريضة . .

وقال لأحد أطبائه :

ـ «لقد أردت أن أثبت لنفسي أنني رجل . . لقد كان كـل شيء بيني وبين زوجتي الأولى عـلى ما يـرام . . إلا أن أقترب منهـا . . شيء ما حـدث بيننا . . سقطت المسافة التي بين سريري وسريرها . . أصبح العبـور إلى سريـرها نـوعاً من الإنتحار . . لا هـ . . .د ولا أنا أريـد . . حتى أحسست في بعض الأحيان

أنني أصبحت عاجزاً تماماً . . ولكن هذه الفتاة أكدت لي خطأ زوجتي وخطئي أيضاً» . .

* * *

وفي هذا الكتاب : أن رؤساء «أمريكا» جميعاً أسوياء ـ حياتهم الجنسية والعاطفية عادية . وإن كان من بينهم فحول مشهورون ، وذئاب وعيون زائغة . .

«أيزنهاور» الذي كان نموذجاً للرئيس الكفء . . والأب لكل الشعب الأمريكي ، ابتعد عن ذلك بالإتفاق معها . قال لها :

ـ «تعذبت في الحرب كثيراً ، وعانيت . . وأنت أصبحت مثل أختي وأمي أحياناً . . وفي نفسي وفي جسمي رغبات تموت عند النظر إليك . . أعذريني » . .

وعذرته . . ولكنها لم تتصور أنه يتمنى الزواج من فتاة أنجليزية كانت تعمل سائقة لسيارته أثناء الحرب العالمية الثانية . .

والبيت الأبيض ينذر بما يحدث في إحدى الليالي أنها مجرد صدفة . . كان ذلك في عيد الشكر . . وقد نام الرئيس «ترومان» وزوجته سبكرين . وفجأة سمعا دوياً . لقد سقط السرير بالرئيس وزوجته .

وتضاحكا والعاصمة الأمريكية كلها على «فحولة السيد الرئيس» .

* * *

والرئيس «بوكانان» عاش ومات أعزب . . وهو الرئيس الأمريكي الوحيد الذي لم يتزوج . . ولكن إضرابه عن الزواج مأساة . . لقد فكر الرئيس في الزواج من فتاة أحبها . . تقدم لها . . خطبها . . اعترض أهلها . . فالرئيس من أصل متواضع جداً . . وهي بنت الأكابر الأغنياء . وأرغموها على أن تعيد له الدبلة . . وأعادتها، ووضعها الرئيس في أصبعه مع الدبلة الأخرى. توفيت

هـذه الفتـاة . . ورفض أهلهـا أن يمشي في جنـازتهـا . . ولمـا حـاول ، هـددوه بالضرب ، ولكنها لم تمت في قلبه . . وكانت حركـاته اليـومية نـوعاً من المشي في جنازتها . .

وكـان سبب الرفض أيضـاً أنهم أشـاعـوا أنـه رجـل ذئب . وأنـه يعـرف ويعايش عشرات من النساء ـ ولم يكن ذلك صحيحاً . .

وبعد ٣٧ عاماً من وفاتها نشرت الصحف أنه كان ذئباً . وأنه غـير مستقر عـاطفياً . ولـذلك لا يصـح للشعب الأمريكي أن يختـاره رئيساً . . وقـالوا أنـه حاول الإنتحار : أنظروا إلى ندبة في رأسه . . وإلى أنـه يميل إلى الجـانب الأيسر إذا سـار . . وأنـه حـاول الإنتحـار بحبـل مشـدود إلى شجـرة وأنقـذوه في آخـر لحظة . . ولكن الحبل ترك هذا الأثر في عنقه . .

والحقيقـة أن هذه النـدبة ، وهـذا الذي أصـاب عنقه ، وكـذلـك ضعف بصره كان بسبب ولادة عسرة . . كادت تؤدي إلى وفاة أمه . .

* * *

والرئيس «ماكنلي» كان جندياً وضابطاً شجاعاً . . ولم يرتكب حماقـة قط . ولا عرف شيئاً يغضب الله . فتزوج الفتاة التي أحبها وأنجبت له ولدين ، ولكن جاءت ولادتها في المرة الأخيرة أليمة . فخرجت من المستشفى وقد تحطم جهازها العصبي . فعاشت مريضة . وتحطم أيضاً كل أمل له في شفائها . .

وحاول بعض خصومه تشويه سمعته باختراع علاقات مع عدد من النسـاء فـما كان من الـرئيس إلا أن استـدعى الصحفي الـذي كتب القصص الكـاذبـة وجمعه بكل النساء اللاتي ذكرهن . وقال لهن :

ـ **دافعن عن شرفكن .**

وبسرعة خلعت السيـدات أحذيتهن . وانهلن ضـربـاً عـلى الصحفي . ثم إلتفت إليه يقول :

- «لا تؤاخـذني يـا ولـدي . . فـأنـا أعـرف أنهن لـو كتبن يـدافعن عن شـرفهن ، فإنـك لن تنشر ذلـك وهـذه أسـرع وأخصر طـريقـة للرد عليـك ، والإنتقام منك» . .

وكـان من عادة الـرئيس «بـوكـانـان» أن يصـطحب زوجتـه إلى الحفـلات العامة ، وكان ذلك مصدر تعاسة له ولها أيضاً . ولكنه كان يرى أن وجودها بين الناس أرحم من بقائها وحدها . . وأن يجد لـه الناس عـذراً في أنه عصبي حـاد المزاج حزين . .

ولم يكن زائـغ العينين مثـل الرئيسـين «لنكـولن» و«بـرسي» ـ فقـد عـاش مخلصاً لها . .

وله عبارة شهيرة :

- «زوجتي ليست أذكى ولا أجمـل امرأة في العـالم . ولكن من المؤكـد أنها أخلصهن وأصلح» . .

* * *

أما الرئيس «تافت» فكان من المستحيـل أن يفكر في أي شيء ثـالث . أما الشيئـان فهما : «العمـل» و«النوم» . إذا صحـا عمل . وإذا عمـل استغـرق في النوم .

وكان عذابه في اجتماعات الوزراء . . لكن كان في حاجـة إلى من يزغـده في أجنبه أو يضغط على قدمه لكي يصحو . . وفي إحدى المـرات صحا منـزعجاً وهو يقول : «إتفقا على شيء واحد» . . ولم يفهم الوزراء . .

لكن الـرئيس «تافت» كـان قد طلب إلى وزيـر الداخليـة أن «يزغـده» في جنبه ، وإلى وزير الخارجية أن «يزغده» في ظهره . فلما وجداه قـد سقط في النوم زغداه في الجنب والظهر . .

وكان من عاداته الغريبة أن يطلب إلى زوجته ألا تجعله يرى السرير في أي

وقت . فلا يكاد يراه حتى يقفز إليه ، وفي ثانية واحدة ينام . ولذلك كان يقضي كل ساعاته السعيدة مع زوجته على «أرض الصالون» .

وكان الرئيس «واشنطن» بصباصاً شهيراً . وكان يقول : لم أرزق أولاداً في الحلال ، فمن يدري ربما كانت لي أولاد في الحرام ، أي اسمى المشاعر لا بد أن يدخل فيها شيء من «السفالة» . .

أما الرئيس «جونسون» فكانت له علاقة بأخت زوجته . .

أما الرئيس «تيلر» فلا يصح أن نعلق بكلمة واحدة على حياته . . فما الذي يمكن أن نقوله عن رجل أنجب «١٤ طفلاً» من زوجتين . وظل في صحة جيدة . .

أما الرئيس «هيز» ، فهو نموذج يدرسه علماء النفس ، فقد تولت تربيته أمه وأخته وخالته . وكانت أخته هي التي تساعده على ارتداء ملابسه ، وهي التي تضع الطعام في فمه ، وهي التي تلعب معه وهو طفل ، وقد ارتبط بها تماماً في طفولته وشبابه ورجولته . . وعندما اضطرته الظروف أن يعمل بعيداً عنها . . راح يبكي . . وعمل المستحيل من أجل أن يكون قريباً منها ، لكي يأكل ويشرب معها . .

وعندما تزوج رافقته أخته في كل شهر العسل ، ونزلت في غرفة ملاصقة له . . وكانت تضع أذنها على الجدار بينهما ، وكان الرئيس «هيز» يطلب إلى عروسه ألا تنطق بكلمة واحدة : «**فالحيطان لها آذان**» . .

ولما تزوجت أخته كانت حزينة وقالت لزوجها : «**لقد كان أخي هو فتى أحلامي**» . .

وماتت في الثلاثين من عمرها وهي تلد توأمين ، فكانت وفاتها حزنه الأكبر . وحين يتحدث عنها ، كان حديث عاشق ولهان تخلت عنه محبوبته ، ولم تكتف بأن تظل بعيدة ، وأنما ابتعدت إلى الأبد . . وكان يرى في ذلك عقاباً له على أنه تركها وتزوج . .

وفي يوم قال لزوجته :

ـ بعد أن ماتت أختي يجب أن نكون معاً ، كما كنت مع أختي .

فنام الأثنان في غرفتين منفصلتين حتى الموت . .

* * *

أما الرئيس «كليفلاند» فقد كان على صلة بفتاة أنجب منها طفلاً وانتشرت الشائعات . وتحدثت الفتاة نفسها . وجاءه مدير الدعاية الإنتخابية يسأله : «ماذا أقول للناس» ؟

قال كليفلاند : قل الحقيقة .

أما خصومه السياسيين ، فقد أتوا بهذه السيدة وجعلوها تحكي للناس ما حدث . ونظمت المعارضة أغنية تقول :

ماما . . يا ماما
فين بابا يا ماما ؟
بابا في البيت
أي بيت يا ماما
في البيت الأبيض

وأعلن الرئيس كليفلاند : «**أن ما تقوله هذه الأغنية صحيح . . وأنني مسؤول عن حياة وتربية الطفل**» . .

وقال الناس : «**بل هو رجل أمين . . رجل شهم . . لم يتنكر . . ولم ينكر . . واعترف بغلطته وسوف يصلحها**» . .

ولكن أم الطفل لم تكن على يقين من أنه ابن الرئيس «كليفلاند» . . فلم تستبعد أن يكون ابن عشيقها . . ولذلك أعطت الطفل اسم الرئيس واسم العشيق معاً . .

ومن العجيب أن الرئيس «كليفلانـد» أحب اخت هذا العشيق وتـزوجها وأنجب منها خمسة أولاد . .

* * *

وقد اشتهر الرئيس «كنيدي» بـأنه ذئب الـذئاب ـ وكـان يقول ذلـك عن نفسه . ولكن من الصعب تصديق ما يقوله الرئيس كنيدي . فقد كان مصاباً في «عمـوده الفقـري» . وكـان لا بـد أن يتعـاطى كميـة كبيـرة من المهـدئـات والمنومات . . وكلها لا تساعده على أن يكـون «ذئباً» . . وإنما أن يكون «ثعلبـاً» يدور حول الفتيات دون أن يذهب إلى أبعد من ذلك . كما سنرى فيما بعد .

* * *

أما الرجل الذي كان أجرأ الرؤساء وأقلهم أحقية في دخول البيت الأبيض لأسباب خلقية فهو الرئيس «هـاردنج» ، فقـد عرف طـالبة جميلة ، ورافق هـذه الطالبة عشر سنوات . وكان يسافر معها ويدعى أنها إبنـة أخيه . . فـإذا نزلا في فندق ، جاءت غرفتها ملاصقة لغرفته ، وقد أعطاها إسماً مستعاراً .

وعندما انتقل إلى البيت الأبيض انتقلت إلى الغرفة المجاورة لقاعة اجتماع مجلس الوزراء .

ويتسلل إلى هذه الغرفة حيث تكون الفتاة في انتظاره . .

ويحدث ذلك كل يوم ، وعدة مرات في اليوم الواحد . .

ولم تشك زوجته لحظة واحدة في سلوكه . ولا تصورت أن في الإمكـان أن يخونها .

ولكن أحداً لم يتنبه إلا أخيراً جداً إلى العذاب الذي يقـاسيه «هـاردنج» ، فقد كان يبكي ويصرخ . كان الرئيس مصاباً بحالة تهيج عصبي شـديد . . فلم تكن هـذه اللقاءات تحـل له مشكلة الهيـاج العصبي الحزين . . وإنمـا تضـاعف آلامه . .

وقد نصحه الأطباء بأن يسافر بعض الوقت إلى الأماكن الجليدية . . وأن يتعرض للجليد عارياً ، وذهب وتعرض . وزادت آلامه . .

وهذه الحالة الشاذة كانت هي السبب الحقيقي لآلام المعدة وتقلصات المصران الغليظ والإمساك والصداع النصفي . .

ولكن هذا الرئيس كان من أقدر رؤساء أمريكا ، وأحبهم للناس جميعاً . .

وفي إحدى المرات عرفت زوجته بما يفعله في الغرفة المجاورة لمجلس الوزراء . . وحاولت اقتحام الغرفة ولكن الحرس منعوها ، لأن التعليمات ألا يضايقه أحد . . فظلت الزوجة جالسة مع الوزراء حتى خرج الرئيس وقد أحمر وجهه وسال عرقه . ونظرت إليه الزوجة . وهزت رأسها بمعنى أنها فهمت ما الذي كان يعمله . . وأنها شديدة الإحتقار له وللوزراء وللحراس .

وكان الرئيس يقول : أنها لا تفهم ولا أنا .

وكانت «فلورانس» زوجة الرئيس «هاردنج» في الستين من عمرها متصابية ، صارخة الألوان ، متعددة الجوانتيات ذات اللؤلؤ . .

ولما رأت هذه الفتاة راحت تقلب فيها كأنها جزار قبل أن يذبحها بسكين سألتها :

ـ هل تحبين الرئيس ؟
ـ نعم . .
ـ هل يحبك الرئيس ؟
ـ لا .
ـ لماذا ؟
ـ لأنه يراني كتلة من اللحم الساخن في بعض الأوقات وينساني .
ـ ألم يعدك بالزواج ؟

ـ وهل وعدك أنت بالطلاق ؟

ـ لا

ـ ولا وعدني .

وحاولت بعد ذلك أن تقلد ملابس هذه الفتاة فكان يقول لها الرئيس :

ـ نجحت في تقليد كل الذي لا أريده في الفتاة الصغيرة . .

أما هذه الفتاة فقد كتبت قصتها مع الرئيس «هاردنج» . .

كما كتبت «جوديت اكسمر» عن علاقتها بالرئيس «كنيدي» .

و« سمرسي » كتبت عن علاقتها بالرئيس « أيزنهاور » .

* * *

ومما قالته عشيقة «أيزنهاور» البريطانية :

ـ «إن الرئيس كان يزداد شباباً كلما استحكمت الأزمات حوله . . هنا فقد أجد لي دوراً حيوياً . . أشعر بأنني أعظم امرأة وأم وأخت وإبنة في الدنيا . . وأن الذي أقوم به ليس متعة شخصية . . وإنما عمل قومي . . استحق عليه تقبيل الأيدي والأرجل أيضاً . . وكان «أيزنهاور» سخياً في امتنانه» .

* * *

«سر اختفاء جثة إيفا بيرون »

نتحدث في هذه الفقرة عن «إيفا بيرون» التي كانت قد ماتت في عام ١٩٥٢ . . ومع انقضاء هذه الفترة الطويلة منذ موتها فإن شعرها ما زال أشقر اللون . . ووجهها ناعم يشبه وجه الدمية ، وكل ذلك سببه جودة فن التحنيط الذي أُجري لجثتها بعد موتها مباشرة ، وهي الآن ـ أي الجثة ـ ترقد في مدفن

مسلح ، وعلى عمق خمسة عشر قدماً في مدافن عائلة «بيرون» في «بونس أيرس» في «الأرجنتين» . .

«إيفا بيرون» تعتبر في نظر البعض ملكة للحيوية والنشاط أثناء فترة حياتها ، والآن ترقد بسلام في قبرها بعد اغترابها الغامض السري لفترة ستة عشر عاماً ، إذ كان التابوت الحاوي لجثتها قد اختفى بعد فترة من موتها . . وعاد بعد هذه الفترة كما سنرى لاحقاً . . وقد غضب الشعب لاختفاء التابوت ، وصار الناس يكتبون على الحائط : «أرجعوا جسد «أيفيتا» . . تعاظمت شعبية «ايفا» ، خاصة بين فقراء «الارجنتين» المدعوين «ديسكاميسادوس» وهي كلمة أسبانية تعني «بلا قمصان» أو كما كان يمكن أن نقول الحفاة العراة . .

إن «إيفا» طفلة غير شرعية ولدت في عام ١٩١٩ . . لكنها كانت ـ حسب قول أي أنثى ـ كانت تقول بأنها ولدت عام ١٩٢٢ وعندما بلغت الخامسة عشرة من العمر ذهبت مع أول حبيب لها إلى العاصمة الأرجنتينية للبحث عن عمل كممثلة ناشئة . .

كان عمر «إيفا» أربعة وعشرين عاماً عندما قابلت الكولونيل «خوان بيرون» وكان في مثل ضعفي عمرها أي في الثامنة والأربعين وكانت في ذلك الوقت نجمة إذاعية ناشئة تتقاضى عشرة دولارات أسبوعياً . .

وصل الكولونيل «بيرون» مع قادة آخرين للجناح العسكري إلى محطة الإذاعة لطلب تبرعات لمنكوبي الزلزال ، ولما قابل «إيفا» صعق بصوتها المغري العميق . . ومنذ ذلك الحين صارت «إيفا» هي التي تجمع التبرعات بإسمه ولصالح وزارة الخدمات الإجتماعية . . وبعد ذلك بقليل صارت «إيفا» الناطقة الرسمية بإسم «خوان بيرون» . .

كانت «إيفا» تخطب وتقول :

ـ «أيها الحفاة العراة إن «خوان» لا يهتم بالبزات والمعاطف والرتب . أنتم اصدقاؤه الحقيقيون» . .

بعد ذلك بفترة . . وفي عام ١٩٤٥ طردته الطبقة الحاكمة ، وساعدته «إيفا» بدعايتها الكبيرة بين الحفاة والعراة وفي أوساط الضباط أيضاً . . ونتيجة لذلك تزوجها «بيرون» بعد شهرين ، وبعد عام من زواجه منها إلى كرسي الرئاسة على أكتاف الكادحين وبدعم خارجي أيضاً . .

لقد كانت «إيفا» تلبس المجوهرات والفراء ، لكنها قامت بعمل جيد . . إذ شكلت جمعية لجمع الملابس المستعملة لتوزيعها على الكادحين . . وطالما تجولت في شوارع العاصمة في سيارة كبيرة تمر بين الشعب . . و«إيفا» تمد يديها المليئتين بالجواهر والحلى ، وهي ترمي لعب الأطفال على الجماهير وتصيح هذه لأطفالكم . . والأجمل من هذا . . أن الشعب لم يكن يشاهد بذخ «إيفا» . . إنما كان يشاهد حملتها في موضوع الملابس المستعملة وتوزيعها الألعاب الرخيصة على الأطفال . .

لم تكتمل سعادة «إيفا» إذ سرعان ما أصيبت بالسرطان وصارت تهزل ، وأخيراً في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ الساعة الثامنة والربع مساء . . ماتت وهي في الثالثة والثلاثين من عمرها وحال موتها وما أن لفظت أنفاسها الأخيرة حتى بدأ الطبيب المحنط الأسباني الأصل والأخصائي بعلم الأمراض بتحنيط جسدها . .

هذا وقد كان هذا الطبيب متواجداً إلى جانبها طيلة الأشهر الأخيرة من حياتها، واستغرقت عملية التحنيط سنة كاملة وتقاضى الطبيب مائة ألف دولار عن عمله هذا . . إذ بدأ بتبديل دمها بالكحول أولاً . . ثم بالجلسرين لضمان سلامة العروق . . وبعد ذلك أخرج الجسد إلى الشعب ليشاهدوه .

وقد شاهدها مليونا شخص تدافعوا في ذلك الحين بشكل أدى إلى مقتل سبعة أشخاص في ذلك الحشد . . وكان الشعب يبكي ويصرخ نريد «سانتا ايفيتا» أي القديسة «ايفيتا» وهو اسم لم تكن تحمله أثناء حياتها . . لكن الشعب لقبها بذلك . . وسار هذا الإسم معها إلى الآن . .

بعد موتها . . بدأت بعض المشاريع الهادفة إلى نصب عدة تماثيل لها . .

ولكن كل هذه المشاريع بقيت على الورق إذ أنه كانت قد حدثت مجاعة كبيرة في «الأرجنتين» عام ١٩٥٥ أدت إلى إنهاء حكم «بيرون» ونفيه إلى «أسبانيا» ، ومن أسبانيا «طلب خوان بيرون» من خلفه الجنرال «أدواردو لوجاردي» أن يوافيه بجثمان زوجته المحنط . . لكن «ادواردو» رفض وبدأ بتهديم سمعة «بيرون» في «الأرجنتين» فقام بفتح منازل «خوان» أما الشعب كي يعرض حياة البذخ والترف التي كان خوان يعيشها على حساب الشعب كما عرض سيارات الرئيس السابق الخمسة عشرة والمصنوعة بمواصفات وكماليات خاصة حسب طلب «خوان» في أشهر مصانع السيارات في العالم . .

كما عرض المائتين وخمسين دراجة نارية الخاصة بعائلة «بيرون» . وأخيراً عرض خزانته التي تحوي على عشرة ملايين دولار نقداً ، كما عرض أيضاً أعشاش الحب الموزعة في العاصمة . . والتي كان خوان يمارس فيها نزواته بحب المراهقات وخاصة صديقته «نيلي ريفاس» وعمرها ستة عشر عاماً . .

وأخيراً عرض «أدواردو» مجوهرات «إيفا» ولكن دون فائدة فإن حب الناس لإيفا ظل كما هو . . وعندما قرر أن يدمر الجسد الموجود في الغرفة رقم (٦٣) من مبنى اتحاد العمال في «بونس ايرس» لكن لم يتوفر له الوقت لتنفيذ قراره ، إذ أنه أقيل في عام ١٩٥٥ نفسه وخلفه الجنرال «بدرو آماربورو» الذي أمر برفع جسدها من مكانه حالاً وبشكل سري . .

وفي إحدى ليالي ديسمبر من عام ١٩٥٥ اختفى جسد «إيفا» لمدة ستة عشر عاماً . . وفي الليلة التي جرت فيها السرقة كان الدكتور الأسباني الذي حنط الجسد «الدكتور آرا» يزور الغرفة رقم (٦٣) لإجراء فحص دوري على الجسد حينما سمع أصوات أقدام أعقبه دخول «كارلوس موري كونيج» مدير المخابرات العسكرية . . وفي أعقابه ثلة من الجنود . . وقال الجنرال أنه جاء ليؤمن دفناً لائقاً للتابوت ، وأخذ جنوده الجسد وغادروا رغم احتجاج الطبيب ، وشاهد الطبيب الجثة تحمل على عربة عسكرية . .

بدأت المظاهرات بعد ذلك تطالب بإظهار الجثة دون فائدة ، وسرت عدة

إشاعات أهمها : أن «خوان» سرق الجثة . . ومضت ست عشرة سنة ولم يعلم أحد بما جرى للجثة ولا «خوان» نفسه . . ومع الضغط الشعبي المتزايد أفاد الرئيس الجنرال «آرامبورو» بأنه لا يعلم شيئاً عن الموضوع . . أما حقيقة الوضع فإن «الكولونيل كونيج» رئيس المخابرات العسكرية قد أخذ الجسد ووضعه في مستودع يقع إلى جانب بناء المخابرات ، وكان ينتظر أمر التخلص من الجسد بفارغ الصبر ، إذ كان لديه سبب وجيه لكره «خوان بيرون» فقد سبق أن نزل . . «خوان» رتبته مرة بعد مشادة بينهما . . ولكن ويا للأسف فإن أمر التخلص من الجسد لم يأت وبقي الجسد لمدة شهر في هذا المستودع . .

وبعد ذلك تنقل الجسد لفترة بين ستة مواضع . . وأخيراً في شقة نائب مدير المخابرات «الميجر انطونيو آرانديا» . . والذي استيقظ ليلة على صوت خطوات تتحرك فأطلق رصاصتين على الخيال المتحرك ليجد لاحقاً أنه قد أطلق رصاصتين على زوجته التي كانت ذاهبة إلى الحمام وقتلها . وبعد ذلك نقل الجسد إلى إدارة المخابرات العامة .

وبعد أشهر من هذا الحادث أصبح «كوينج» رئيس وحدة المخابرات التابعة للرئيس . . وحل في منصبه كرئيس للمخابرات العسكرية الكولونيل «هيكتور كابا نيلاس» . . والذي قام بصنع عدة توابيت متماثلة ومماثلة بالشكل والحجم والوزن لتابوت إيفا ، وقام بتوزيع هذه التوابيت في عدة أمكنة داخل وخارج «الأرجنتين» بغرض التمويه ، أما التابوت الحقيقي فقد أرسل إلى سفارة «الأرجنتين» في «بلجيكا» ووضع في أحد أقبية السفارة دون علم السفير . .

بعد ذلك بفترة نقل الجسد إلى «ميلانو» ودفن هناك في مدفن مؤقت على أنه جسد الأرملة «ماريا ماجي ديما جستريس» التي قيل أنها ماتت في «الأرجنتين» ، وهكذا رقد الجسد هناك فترة أخرى . .

عاد المجلس العسكري غير المناهض لخوان إلى سدة الحكم مرة أخرى وقام واحد منهم وهو الجنرال «الياخندرولا نوسي» بدعوة «بيرون» لزيارة

«الأرجنتين» وترك المنفي . . مع أن الرئيس «خوان» كان قد حكم على «اليخاندرو» سابقاً بالسجن عشرين عاماً . . كما قرر «اليخاندرو» أيضاً أن يعيد إلى «خوان» جسد زوجته وقد تمت إعادة الجسد إلى «خوان» في المنفى ، واستلمه ، وكان عمره حينذاك أربعة وسبعون عاماً وكانت بصحبته زوجته الثانية «ايزابيلا» وعمرها تسعة وثلاثون عاماً ، والتي كان قد التقى بها في إحدى الحانات في «باناما» وقد حضر الإستلام الدكتور الأسباني الدكتور «آرا» وقد تأثر «خوان» من منظر الجثة ، وقال : إيفا ليست ميتة . . إنها نائمة فقط !!

عاد «خوان» بعد ذلك إلى «الأرجنتين» وتم انتخابه رئيساً للجمهورية . . وانتخاب «ايزابيلا» نائبة للرئيس ، ولم يدم حكم «خوان» طويلاً إذ توفى بعد ذلك بفترة قصيرة جداً ، وصارت «ايزابيلا» رئيسة «الأرجنتين» . .

قامت «ايزابيلا» بعد ذلك بإرجاع الجسد إلى «الأرجنتين» وقد وقف آلاف الناس يوم عودة الجسد وخطبت «ايزابيلا» في الجموع الحاشدة ونسبت كل الأمجاد لنفسها . .

وبعد مرور عامين تمت تنحية «ايزابيلا عن الحكم وقرر المسؤولون الجدد محو إسم «خوان» وما يتبعه من كتب التاريخ . . أما بالنسبة للجسد فقد قرر المسؤولون الجدد دفنه بشكل لا يمكن بعد ذلك نبشه مطلقاً ، فقاموا بدفن الجسد على عمق أربعة أمتار ونصف ، وقاموا ببناء مدفن أسمنتي مسلح فوق الجسد تماماً وبحيث لا يمكن لأي فرد ، أو حتى لأي جيش أن ينبش هذا القبر الغريب واسترجاع الجسد . .

* * *

«يعترف بفشل مسرحيته»

* الناقد البريطاني «تشالز لامبا» (١٧٧٥ ـ ١٨٣٤) كتب مسرحية

فاشلة . . ويزيد في التأكيد بأنه ليس هو مؤلفها ، انضم إلى جمهور المشاهدين الذين يطالبون بإسدال الستار عليها . .

* * *

«قصائد على قطع الصابون»

* قامت شاعرة سوفيتية بكتابة (٢٥٠) قصيدة على قطع الصابون وهي داخل السجن . وذلك بإستخدام أعواد الكبريت . . ثم محتها بعد أن حفظتها عن ظهر قلب . .

* * *

«الملك النائم في ملكه دائماً»

* إنه الملك «زوماد» رئيس «قبائل ماهي داسا» في أفريقيا . . كان هذا الملك غير قادر على ركوب الحصان ، لأنه كان مريضاً بداء النوم . .

فكان يقوم بجولات في بلاده وهو على حصان خشبي له عجلات . .

* * *

«أغلى ثوب في التاريخ»

* إنه ذلك الثوب الذي قدمته الأمبراطورة الروسية « كاترين الثانية » للكونت « جريجوري أورلوف » عام ١٧٦٢ . .

لقد بلغت تكاليف صناعته ـ في ذلك الوقت ـ (٥٧٥٠٠) دولار . . وكان ذلك بمناسبة عيد ميلاده . .

وكان الثوب مصنوعاً من الذهب ، ومطرزاً بالأحجار الكريمة . .

* * *

«حكاية كلمات متقاطعة»

لو أن صحيفة مصرية نشرت في كلماتها المتقاطعة ما نشرته تلك الصحيفة الألمانية لهاجت الدنيا وماجت وطالبت بعض بالقصاص وقطع الرقاب . . ولست بكلامي أدافع عن التجاوز في حق القادة والزعماء والمشهورين أو أقبل الحديث عن الحياة الشخصية الخاصة للخصوم في الرأي وأنما أقول بأن عندهم يحدث مثل الذي يحدث عندنا ـ وألعن ـ ولا تقطع لهم رقبة ، إنما يطلب منهم الإعتذار وعدم العودة لهذا الإسفاف ، ويكفيهم عقاب الرأي العام الذي لا يقبل أن يهان إنسان مهما كان . .

والقصة التي حدثت في ألمانيا . وظلت مجهولة طوال اليوم حتى أخذ الناس صحيفتهم إلى البيت وبدأوا يقطعون الوقت بحل الكمات المتقاطعة ، واكتشفوا أن إحدى الكلمات المطلوبة هي اسم العائلة للزعيم الإشتراكي الألماني «فيلي برانت» ولكن الحل لم يكن «رانت» وإنما «فرام» . . ضحك البعض وغضب البعض وتوقفوا عن الحل بعد أن شغلتهم قضية قديمة حول الزعيم الكبير الذي ولد من أب غير شرعي وغير اسم عائلته إلى «برانت» عندما هاجر من بلاده هرباً من بطش النازية عام ١٩٣٣ وعاش لاجئاً ومناضلاً في السويد ودول غرب أوروبا حتى عاد وأصبح مستشاراً لألمانيا الغربية ومهندس فكرة الإتجاه شرقاً بفتح الحوار وإيجاد حد أدنى للعلاقات مع ألمانيا الشرقية . .

أما «فرام» فهو إسم الأب غير الشرعي «لفيلي برانت» وقد نسيه الناس تماماً حتى ذكرتهم به الكلمات المتقاطعة ، وكان اعتذار رئيس التحرير : «أن تلك الكلمات لا تحظى بمراجعة كافية» . .

* * *

«شيطان الكمان»

* هـل تصدق إذا قلت لـك : أن عازف الكمـان الشهـير «نيكـوليـويـا» فللينـمي (١٧٨٢ ـ ١٨٤٠) ـ رهن «كمانه» الذي كان يعتقد أرباب عصره أن الشيطان يحرك قوسه . . رهنه ليسدد بقيمته ديناً كان عليه . .

* * *

مع الأديبات

* سيرة جديدة للقلم الأشهر في عالم الرواية البوليسية :

«اختفاء وظهور أجاثا كرستي»

لم تكن «أجاثا كريستي» تقبل حتى التفكير بأن يقتحم الصحفيون أو المختصون بسير المشاهير حياتها الخاصة بعد موتها . . وكانت تعلن دائماً أنها لا ترى مسوغاً لحديث الأديب نفسه عن أعماله ، أو عن حياته الشخصية . . لأن الحديث عن الأعمال الأدبية هو من اختصاص النقاد والقراء الذين لا يجب أن يهتموا بشخصية «الأديب» بقدر اهتمامهم بالنص الأدبي نفسه . أي بخلاف الإتجاه النقدي الذي يرى أن معرفة حياة الأديب وتفاصيلها تضيء النص وتجعله أكثر مقاربة في مجال الإتصال والتوصيل بين الأديب وقارئه . .

و «أجاثا كريستي» ، التي كانت ترى أن النص الأدبي ، وخصوصاً الروائي منه ، يضيء نفسه بنفسه ، لأنه حالة مختلفة عن تلك التي أملته على الكاتب . . حاولت على طريقة «قل لي كيف تعيش» أن تضع «الحشري» المحتمل أمام بعض الحقائق الثابتة في حياتها الخاصة بصورة لا تدع أمامه فرصاً كثيرة للإفلات مما قررته هي بنفسها حول الإتجاه المحتمل في الكتابة ، حول سيرتها الخاصة . .

لكنها لم تكن تتوقع مدى إثارة حياتها الخاصة لحشرية الصحافة والبحاثة بصورة تصبح معها هذه السيرة موضوعاً لحبكة بوليسية مثل تلك التي عرفها القراء في رواياتها البوليسية في البحث عن «الإبرة» تحت ركام من القش . .

وعندما تعددت السير ، التي كتبها هؤلاء الهواة حول «حياة كريستي» . . على نحو اتسمت معه بالفوضى أحياناً ، وبالتجني أحياناً أخرى ، أذن ورثة الكاتبة لجانيت مورجان بمراجعة أوراق رسائل ومسودات ويوميات الروائية البوليسية التي لم تكن تعلم أنه حتى دفاتر العناوين والمواعيد والحسابات ستوضع في تصرف «مورجان» . . التي استطاعت . . بأسلوب أدبي شيق إعادة صياغة حياة «كريستي» ، بما يشبه تقريراً بوليسياً دقيقاً ، مع البصمات والإجابات الواضحة عن جميع الأسئلة الغامضة والشبهات والشكوك ، استناداً إلى أبحاث رصينة استندت إلى فيض من المعلومات والوثائق . .

وبفضل ما كتبته «جانيت مورجان» ، عرف عشاق «أجاثا كريستي» كل التفاصيل عن حياتها من تفضيلها المقعد الخشبي في بيت الخلاء . . إلى شغفها بالملابس الحريرية الليلية المصنوعة من قبل العميان . . ثم مصدر العقدة البوليسية التي صاغتها في أولى رواياتها التي ظهرت في سنة ١٩٢٦ . .

* تقول «مورجان» :

ـ إن عقدة هذه الرواية تخيلتها «كريستي» حين كانت تعمل «ممرضة» في مستشفيات «الحرب العالمية الأولى» . . واستوحتها من مختلف أصناف قوارير الأدوية التي كانت تقضي معظم أوقاتها بالتعامل معها على ما فيها من قدرات على الشفاء والموت . . وساعدها في أفكار هذه الرواية «اللورد مونتباتن» الذي كتب إليها وهي في مرحلة صياغة الرواية ، عدة رسائل يقترح فيها أفكاراً حول خصائص الشخصيات وتصميم الرواية . .

وقد احدثت «الرواية الأولى» التي خرجت إلى النور تحت عنوان «موت روجيه أكرود» دهشة عامة بسبب مهارة كاتبتها في صياغة العقدة البوليسية المثيرة ، لكنها وضعت «أجاثا كريستي» في نزاع مع جماعة «نادي المخبرين السريين» الذين كانوا لا يستسيغون استخدام «العناية الالهية» ، أو «الفراسة النسائية» ، أو «الحدث التعسفي» للكشف عن الجريمة . . وبرأي هذه الجماعة

ـ حسب ما تقول «جانيت مورجان» ـ لم تحترم «أجاثا كريستي» هذه القواعد الأساسية في روايتها الأولى أثناء حل العقدة الروائية التي حبكتها في بادىء الأمر بصورة معقدة ومثيرة . . لكن هذه الإنتقادات لم يهتم بها القراء الذين أقبلوا على الرواية بشغف شديد . .

وما لم تكشفه السيرة الجديدة هي قصة مثيرة حدثت «لكريستي» وظلت في حينها محاطة بسرية تامة . . على أثر إعلان زوجها بالرغبة في الطلاق ليتزوج من عشيقته «نانسي نيل» . . إختفت الزوجة «أجاثا» فجأة ، دون أن تترك أي أثر . . أحدث غياب الروائية الشهيرة ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية وصفوف الشرطة والصحافة التي جعلت منه أكثر المواضيع إثارة . . هل انتحرت ، أم هربت مع رجل آخر ، هل لجأت إلى هذه اللعبة لتحدث ضجة كبيرة حول شخصها ؟ . .

بعد بحث طويل وجدت الروائية زائغة الجنان ، وفاقدة الذاكرة في فندق «هاروغيت» على شاطىء «بريطانيا» الجنوبي . .

لم تتمكن من تذكر ما حدث لها . . وتبين فيما بعد من تحقيقات الشرطة أنها انتحلت شخصية واسم المرأة التي كان ينوي زوجها «ارشي» الإقتران بها . . كما أنها نشرت إعلاناً عن رغبتها في مقابلة عائلة العشيقة . .

ورغم أن الروائية خضعت لعدة جلسات مع طبيب نفسي ، فقد ظلت هذه الحادثة محاطة بغموض شديد . . ولم يصفها ما كتبته «أجاثا كريستي» نفسها ولا السيدة الجديدة . لأن «جانيت مورجان» لم تتمكن من الإستماع إلى الشريط المسجل حول حديث «كريستي» مع الطبيب النفسي ، لأن التسجيل كان رديئاً للغاية . .

بعد طلاقها . . ظهرت «أجاثا كريستي» تحت اسم «ماري ويستماكوت » الذي وقعت به بعض رواياتها الكلاسيكية . . ثم اتخذت حياتها طابعاً جديداً ، خصوصاً بعد زواجها الثاني من عالم الآثار «ماكس مالوان» الذي كان يصغرها

بخمس عشـرة سنـة . وشـاركتـه في بعض أبحـاثـه التنقيبيـة خصـوصـاً في «العراق» . . الأمر الذي جدد مناخات رواياتها وأعطاها دماً جديداً . .

«أجاثا» التي كانت تكتب كل عـام رواية بـوليسية ومجمـوعة من القصص القصيـرة ، والتي كانت تشـارك في كتابـة السيناريـوهات السينمـائية والمسـرحيـة لـرواياتهـا . . لم تكن تواجـه مشكلات كبـرى لدى صيـاغـة العقـدة أو الحبكـة الروائية ، لكنها كانت تكابد حيرة شديـدة قبل الجلوس إلى مكتبهـا والشروع في العمل . .

وتمكنت بمهارة «عميلها الأدبي» «ادموند كـورك» من نشر كتابهـا الستين في ذكرى ميلادها الستين . .

ومـاتت «أجاتـا كريستي» في سنـة ١٩٧٦ عن عمر ينـاهز السـادسة والثمـانـين ، بعـدما أمضت سنـواتها الأخيـرة ـ مثل جميـع المشاهـيرـ هدفـاً للنقد الـلاذع من جهة ، وللإعجاب الشديد من جهة أخرى . . وحافظت في أيامهـا الأخيرة عـلى كتابة ملاحظاتها العامة رغم أنها فقدت قدراتها الخيالية العجيبة . .

باعت حوالي أربعمائة مليون نسخة من كتبها في طول العـالم وعرضـه . . دون أن تتسـاءل حـول مـا إذا كـانت من الأفضـل أن تبيـع أقـل وتهتم أكـثر في أسلوبها الروائي . .

لكن هذه المرأة ، التي كانت تكتب الروايـات بالسهـولة نفسهـا التي تقوم فيها نساء أخريات بالتسوق أو بالأعمال المنزلية ، لم تكن تعـرف في باديء الأمـر أن قلمها سيدر عليها كل هذه الأرباح ، خصـوصاً أن أولى مخـطوطاتهـا انتظرت حـوالي السنة في مكتب «النـاشر» قبل أن تخـرج إلى الجمهور . . كـذلك رفضت مخـطوطات أخـرى لأنها لا تنسجم والأسلوب الذي عـرفت به الـروائيـة . . ولم تنجح ، فيما بعد ، بنشرها تحت الإسم المستعار الذي اتخذته لاحقاً . .

مع هذا كانت هذه المرأة تعرف بنـوع من البرغمـاتية والحس التجـاري ، كيف تدير مصالحها المتشابكة مع الناشرين والمسرحيـين والسينمائيـين . . وكانت

تحتفظ في مستودعاتها بمخطوطات كتبتها في السنوات السمان استعداداً للسنوات العجاف . . مخطوطات تحت الطلب ، ما أن يفتح الناشر أو السينمائي فمه حتى تكون المخطوطات بين يديه . .

ولعل أفضل ما يوضح سيرة «أجاثا كريستي» مع التأليف والنشر هو قولها :

- «اكتب لأبيع وآمل أن يستمتع القراء بكتبي . خصوصاً أن القراء يهتمون بالرواية أكثر من اهتمامهم بالكاتب» . .

رغم هذه الصراحة المدهشة نجحت «أجاثا كريستي» في عالم الأدب البوليسي نجاحاً كبيراً ، الأمر الذي جعل كتابة سيرتها مجدداً موضوعاً شيقاً تمكنت «جانيت مورجان» من إنجازه بنزاهة الباحث المعجب بموضوعه ، يبقى أن «أجاثا» ، التي كانت تكره الكاميرات وآلات التصوير ، ولو قيض لها أن ترى الفوضى في تسلسل تواريخ صورها التي زينت الكتاب الجديد ، لاستشاطت غضباً . . ربما ألقته من الشباك بسبب هذه الفوضى ، وليس بسبب كشفه أسرار كانت ترغب في طيها إلى الأبد . .



اختفاء وظهور

أجاثا كريستي . . كانت تعمل باحثة آثار في العراق

«لغز اختفاء «اجاثا كريستي»»

من المسلم بـه أن «أجاثـا كريستي» كـانت أنجح من كتب عن الجـريمة بـأسلوب لطيف محبب إلى القارىء وقـد اشتهرت شخصيـاتها التي ابتـدعتها مثـل «هرقـل بوارو» و «الآنسة «جين ماربل» بين الناس عامة من حيث أن هاتـين الشخصيتين كـانتا تسـاعدان الشـرطة في كشف غمـوض الجرائم عن هـواية لا عن احتـراف وعمل لدى الشرطة . .

توفيت «اجاثا» في ينايـر من عام ١٩٧٦ وتـركت خلفها رصيـداً ضخماً من القصص الغـامضة التي تـرجمت إلى معظم لغـات العالم . . وتـركت أيضـاً لغـزاً خاصاً بحياتها وهو اختفاؤها لمدة (١١) يوم دون أن تفصح عن سببه . .

ففي يناير من عام ١٩٢٦ ، وعندما كانت قد اشتهرت بأنها كاتبة لروايات الغموض إختفت فجأة لمدة تقرب من الأسبـوعين ، وبـالغت الصحف آنذاك في تبرير سبب اختفائها فكانت العناوين «إنتحار ـ خطف ـ قتل ملكة الجريمة» لكن كل ذلك كان رجماً بالغيب ، ولم تفلح حتى الشرطة في معرفة حقيقة اختفائها . .

ولدت «آجاثـا» في سبتمبر من عـام ١٨٩٠ ، وهي الإبنة الصغـرى لأحد الأثـرياء الأمـريكيين الـذي عاش مـع زوجته الإنجليـزية وأولادهمـا في مقاطعـة «ديجون» بانجلترا . . وكانت العـائلة تعيش في بحبوحة ، أما آجـاثا نفسهـا فقد تلقت قسـطاً محدوداً من التعليم لكن منـزل العـائلة كـان مليئـاً بـالكتب ، وقـد شجعتها أمها مراراً على كثرة المطالعة وهكذا كان . .

وفي عـام ١٩١٤ تزوجت «آجـاثا» من الكـولونيـل «آرشيبالـد كريستي» ، وبينـما سافـر زوجها إلى خـارج البلاد ملتحقـاً بالجيش أثنـاء الحـرب عملت هي كممرضة لفترة ، وخلال هذه الفترة اكتسبت خبرتها الطبية والصيـدلانية خـاصة مـوضوع السمـوم والعقاقـير، وهي خبرة سـاعدتهـا في كتابـة رواياتهـا لاحقـاً . . قـامت «آجاثا» بكتابة قصتهـا الأولى خلال فتـرة نقاهـة قضتها في المنـزل بعد مـرض ألم

بها . . وكان ذلك قبل عام ١٩٢٦ وهو العام الذي كسبت فيه نجاحاً باهراً أدى إلى استياء زوجها من ذلك والتفاته إلى امرأة أخرى . .

وتأثرت «آجاثا» من موقف زوجها هذا منها . . وازداد تأثرها من جراء وفاة والدتها وشعرت باليأس من الحياة بعد أن واجهت موقفين عصيبين بآن واحد .

وفي ليلة الجمعة الباردة في ٣ من يناير من ذلك العام لبست ثياباً خضراء اللون . . ووضعت على رأسها قبعة وكان معها بعض الجنيهات في كيس نقودها . . وغادرت المنزل في سيارتها الصغيرة من طراز «موريس»تتسع لراكبين فقط . . دون أن تفسح عن وجهتها . .

وفي صباح اليوم التالي . . شوهدت السيارة فارغة عند أسفل منحدر يبعد نحو نصف ميل عن منزلها الكبير ذي الإثني عشرة غرفة في «بير كشاير» وكانت العجلات الأمامية للسيارة عالقة بجرف صخري كلسي فيه بعض الحفر الطرية . .

والغريب في الأمر أن محرك السيارة كان دائراً وبالطبع المفاتيح في مكانها . . أما ذراع علبة السرعة «الفيتيس» فقد كان في وضع الحيادي «فاضي» وفرامل اليد لم تكن موصلة ، ولم يكن في السيارة سوى بعض الملابس فقط . .

بدأت الصحف كما ذكرنا تكتب عنها وعن اختفائها . . وبدأت المئات في البحث عنها ـ. بل يمكن القول الالآف ، نظراً لشهرتها ، وتطوع الغطاسون للبحث عن جثتها دون فائدة ، وسرت إشاعة تقول أن الكاتبة الشهيرة قد انتحرت لكن أين الجثة ؟ . .

وشك البعض حقاً أن هذا الإختفاء ربما كان نوعاً من الدعاية خاصة أن زوجها شوهد لاحقاً مع إنسانة تشبهها في أحد الفنادق في مقاطعة أخرى لكن لم يقم الدليل على ذلك ، وقد صرح الزوج لاحقاً بأن زوجته تعاني من فقدان الذاكرة أحياناً . . وقد أرفق تقارير من أطباء يؤكدون قوله هذا . .

وهنا شنت الصحف حملة ضد «آجاثا» تطالبها بتسديد مبلغ (٣٠٠٠ جنيه استرليني) وهو المبلغ الذي كلف الشرطة والحكومة البحث عنها . . لكن بعد فترة هدأت الحملات وعادت شعبية آجاثا إلى عهدها السابق . .

بدأت فترة جديدة من فترات حياة «آجاثا» بعد سنتين ، إذ تم طلاقها من الكولونيل «كريستي» الذي أصبح حراً ليتزوج حبيبته «الآنسة نيل» وتزوجت «آجاثا» في عام ١٩٣٠ من عالم الآثار «السير ماكس مالوان» وسافرت معه حسبما تقضي مهنته ، حول العالم ، وكانت تلك الرحلات أيضاً مفيدة لها في إغناء قصصها بجوانب جديدة من جوانب الحياة خاصة قصصها التي تتحدث عن «الشرق الأوسط» . .

وبمرور الزمن بدأ الناس بنسيان فترة إخفائها تلك ، ولكنها هي بنفسها لم تنسها . . إذ أنها كانت ولغاية موتها تشترط قبل قبولها أن تستضاف في أية مقابلة . . سواء لصالح صحيفة أو محطة إذاعة أن لا يذكر ذلك الموضوع من قريب أو بعيد ، وحتى بعد أن كتبت سيرتهاالذاتية في دوائر المعارف «الموسوعات» فقد أشير إلى الموضوع إشارة دون تفصيل . .

ونحن بدورنا نتساءل :

- «هل كانت حقيقة قد قررت أن تقتل نفسها في تلك الليلة ثم علقت سيارتها ولم تقع في الحفرة ؟ إذا كان ذلك صحيحاً فلم لم تخبر «أجاثا» الشرطة ؟ أم هل كان ذلك كله لكسب عطف زوجها من جديد ونبذه لحبيبته والتفاته إليها أم على العكس هل كان ذلك من أجل إظهار علاقة زوجها بالآنسة «نيل» على الملأ . . لمساعدتها على طلب الطلاق لاحقاً ؟ . . أم أن زوجها وكما شكت الشرطة قد حاول أن يتخلص منها وفشل ؟

إن أغلب من يمكنهم أن يلقوا الضوء على غموض الإختفاء قد ماتوا . . فالآنسة «نيل» توفيت عام ١٩٥٨ . . والزوج السابق «كريستي» مات في عام ١٩٦٢ .

صرح زوجها الثاني «السير ماركس» مرة أن قصتها التي كتبتها عام ١٩٣٤ واسمها «الصورة التي لم تكتمل» ونشرتها تحت اسم مستعار وهو «ماري ويستماكوت» كانت تمثل قصة حياتها الشخصية ، وفي هذه القصة المنشورة تفاجأ بطلة القصة بأن زوجها يخبرها بأنه على علاقة بأمرأة أخرى ، فتصدمها هذه الحقيقة وتحاول الإنتحار لكنها تفشل . .

أخيراً نقول إن «آجاثا» قد كتبت خلال حياتها أكثر من ثمانين قصة ترجمت إلى أغلب لغات العالم . . أكثر مما ترجمت روايات «وليم شكسبير» نفسه . . وقد بيع منها نحو «٣٠٠ مليون نسخة» . . ورغم كل هذا فقد بقيت «آجاثا» تعيش كإنسانة غامضة دون أن يحلو لها أن تصبح من سيدات المجتمع اللواتي تتلألأ الأضواء حولهن . . وماتت كذلك مغمورة ودون أن تفصح عن سبب أو سر اختفائها الغامض . .

* * *

عادات وطقوس غريبة

* سر الأفاعي في مصر تعرفه طائفة «الرفاعية»

«مدد يا رفاعي .. مدد»

يعلم الله ما هي علاقة «مصر» بالثعابين . . هل هي مسألة أخلاقية متعلقة بمسلك الثعبان . . ووجود نوع من المسلك البشري مماثل له في الهجوم المفاجىء والتسحب والتسللل خفية ، ولدغ أقرب الناس إليه بسمه الزعاف ، أو كلماته السامة . . ؟

أم ترى هي مسألة تاريخية . . لقد كان كل فراعنة «مصر» باستثناء «أخناتون» ، يحلون تيجانهم برأس ثعبان يعرف عند علماء التاريخ المصري بإسم «الصل الملكي» . .

هل كان ذلك لإرهاب المواطنين وإخافتهم ، حتى لا ترتفع عيونهم فيشاهدوا وجه الملك ، أو يتطلعوا إليه . . أم أن المسألة كانت أعمق من ذلك بكثير ؟ . .

إن شعار الأمبراطورية المصرية الوسطى ، المعروف بإسم شعار «آمون ـ رع» كان عبارة عن الشمس المحاطة بثعبانين مجنحين . . فكيف يمكن لدولة واسعة الأرجاء ـ آنذاك ـ أن تختار الثعبان شعاراً لها . .

إن من المثير حقاً أننا ما نزال نرى آثار هذا الشعار موجودة في كثير من المباني الحديثة في العالم ، التي أخذت عن الطراز الإغريقي القديم ، والتي كانت



هي بدورها مـأخوذة عن واجهـات المعابـد المصريـة القديمـة . . ولكنها بـالطبـع مأخوذة كحليـة . . حتى أن علماء الحملة الفرنسيـة ـ الذين صـاحبوا نـابليون في حملته على مصر عندما عادوا إلى فرنسا ـ اخترعوا طرازاً جديداً من الأثـاث عُرِفَ بإسم طراز «الأمير» ، أي الطراز الأمبراطوري ، أخذت زينة مقاعده ، وأرائكـه من حركة الثعبان . . وبالتحديد من زوايا أشعار الصل الملكي المصري . .

ثمة شيء ما يؤكـد الصلة بين «مصر» القـديمة ، ورمـز الثعبان . . وبعض المؤرخـين يشيرون في مـلاحـظاتهم إلى أن هـذه العـلاقـة تتعـدى كـونها مسـألـة أخلاقية . . بل أنها في الحقيقة مسألة دينية ذات ملامح فلسفية . .

إن ذلك بدوره يجعلنا نتساءل عن الدور الذي خصصته الأديان السمـاوية للثعبـان ، أو «الحيـة» في قصـة الخلق . . لقـد ارتبط فيهـا منـذ الأزل رمـز «الحيـة» . . بعمليـة الكشف عن المعـرفـة الحقيقيـة الخفيـة عـلى كـل من آدم وحـواء . . ومن ثم . . إرتبط الرمـز بالحكمـة ، كما ارتبط أيضـاً بـالكشف عن الخطيئة الأولى ، وارتكاب الإنسان لها ، ووقوعه في الزلل الأول الذي مـا زالت تعيش البشرية في كنفه حتى الآن . .




احدى العائلات الرفاعية وهم في بداية مراحل المهنة

إننا هكذا نرى أن الثعبان ، بعدما تحول إلى رمز ، قد اكتسب صفات غريبة . . فهو مرتبط بالحكمة . . وبالمعرفة . . وبالسلطة . . ولكنه كان كزاحفة ظل مرتبطاً بالخديعة وبالتضليل . . وباللدغ . ويثير مجرد سماع إسمه الخوف والرجفة في نفوس وأبدان السامعين . . حتى أن نطق إسمه في كثير من قرى «مصر» لا بد أن يلحق بالإستعانة بالله عز وجل والإستعاذة من الشيطان الرجيم . .

بل أن هناك إعتقاد جازماً ، خفي بطبيعة الحال ، إن الشيطان عندما بتجسد فإنه يظهر على هيئة ثعبان ، وهناك من يقطع بأنه هو الشيطان بعينه . .

لا يوجد حيوان على وجه الأرض ، وبالتحديد زاحف من زواحفها حظي بمثل هذا التناقض من الرموز . . فهو يمتد في إيحاءاته من أقصى أطراف الحكمة والمعرفة والسلطة الدينية القديمة والحديثة . . إلى أقصى أطراف الخديعة والتضليل والموت . . ولا أحد يعلم سر ذلك التشابه في النطق بين كلمتي «حية» و «حواء» برموزها التي تثير في الذهن خيالات الفتنة الأزلية والجمال . . والتناسل . . واستمرار الجنس البشري ونمائه . .

*** ثمة سر . . .**

وعلى الرغم من مرور الأزمان ، وتغير الفلسفات ، وتطور الأديان ،

وتزايد أعـداد البشريـة ، واتضاح آلاف الحقـائق لأجيالهـا المتتابعـة ، وانكشاف الصفـات «الزولـوجية» الحيـوانية» لهـذا الزاحف الغـريب ، وانقشاع الكثـير من الخرافات حوله في أذهان البشر ، فإنه ما زالت هناك حتى الآن طائفـة من البشر من أهل «مصر» يتعاملون مـع «الثعبان» بصفـاته القـديمة ، وأسـراره الخفية . . هؤلاء الناس هم «طائفة الرفاعية» . .

هناك في قلب «القاهرة» بالقرب من «القلعة» يقوم مسجد من أكبر مساجد «مصر» يعرف باسم «مسجد الرفاعي» ومن المثير أنـه يضم بين جـدرانه أضـرحة بعض ملوك مصر . وقد أقيم أصلاً تكريماً لذكرى الإمام «أحمد الـرفاعي» الـذي أنشـأ تلك الطائفـة التي تخصصت في التخاطب مـع الثعـابـين واستـدراجهـا من جحورها المظلمة العميقة . .

إن أفراد هذه الطائفة هم دائماً على استعداد لتلبية طلبات أصحاب البيوت الموبوؤة بالثعابـين الخفية . ويتلقـون على ذلـك أجراً معلومـاً . . وهم لا يقتلون هذه الثعابين بعد استخراجها ، بل يشرفون على تربيتها ، وتغذيتها بـالفئران . . والإنتفاع بسمومها في معالجة بعض الأمراض بالطرق القـديمة . . وهم غـالباً مـا يكونون عـائلات تعني بـأسرار الثعـابين ، ويحفـظون فيما بينهم آيـات من القرآن الكريم يوقنون بنفعها في دفع التعابـين للاستسـلام لهم . . وهـم يملكون سيطرة ظاهرة على هذا الزاحف ، وكأنهم سحرة من الأزمنة القديمة . .

ترى ما هو السر . . أنهم لن يبوحوا به ومن المثير حقاً أن هناك منهم الآن ثلاثين ألفاً ، ولكن السر لا يخرج من بينهم أبداً . . تماماً كما ما يزال ذلـك السر القديم في الحضارات القديمة . . ما زال خفياً ومستعصياً إلا على قِلَّة بسيـطة من أصحاب المعارف البائدة . .

* * *

«يزورون قبور أزواجهن زاحفات»

* في عـام ١٩٢٠ كـانت الأرامـل في «غينيـا الجـديـدة» تعيســات الحظ دائماً . .

فمثلاً إذا مات أزواجهن ، فإنهن يَزُرْنَ قبور أزواجهن يومياً ، ولعدد كبير في الشهور ، وهن زاحفات متدثرات بعباءات . . لكي لا يرى أحد وجوههن .

* * *

* أجانب . . وجدوا الحقيقة في اليابان :

«التأمل البوذي : رحلة داخل النفس»

ثلاثة بريطانيين ، أربعة أمريكان ، أحد الإستراليين ، ياباني بإضافة إلى راهب بوذي من اليابان ـ فريق يجمع بين ثقافات مختلفة ، تجمعوا في «معبد بوذي» يدعى «توكيا ـ إن» على بُعد ٣٠٠ كيلو متر من العاصمة اليابانية «طوكيو» ، في محاولة ليعيشوا لمدة ثلاثة أيام تجربة «الزاهد البوذي» . .

هنا ، في هذا المعبد ، على من يدخله : أن يترك مشاكله وانشغالاته وهمومه في الخارج ، فهي كلها جزء من العالم والمعبد يختلف . . إنه مكان للتأمل الروحي . .

وعند الدخول إلى المعبد ، فإن المرء يدخل تجربة عميقة في التفكير وعليه أن يطبق بشكل كامل كافة تقاليد وعادات المعبد اليومية ـ أن يحضر المحاضرات ، ويقوم بتنفيذ ما يقوم به الآخرون ، أن يأكل ما يتناولونه من غذاء تقليدي حسب طقوس المعبد .

إذن دخول المعبد ليس متعة استثنائية ، إنه مواجهة فورية للتحدي .

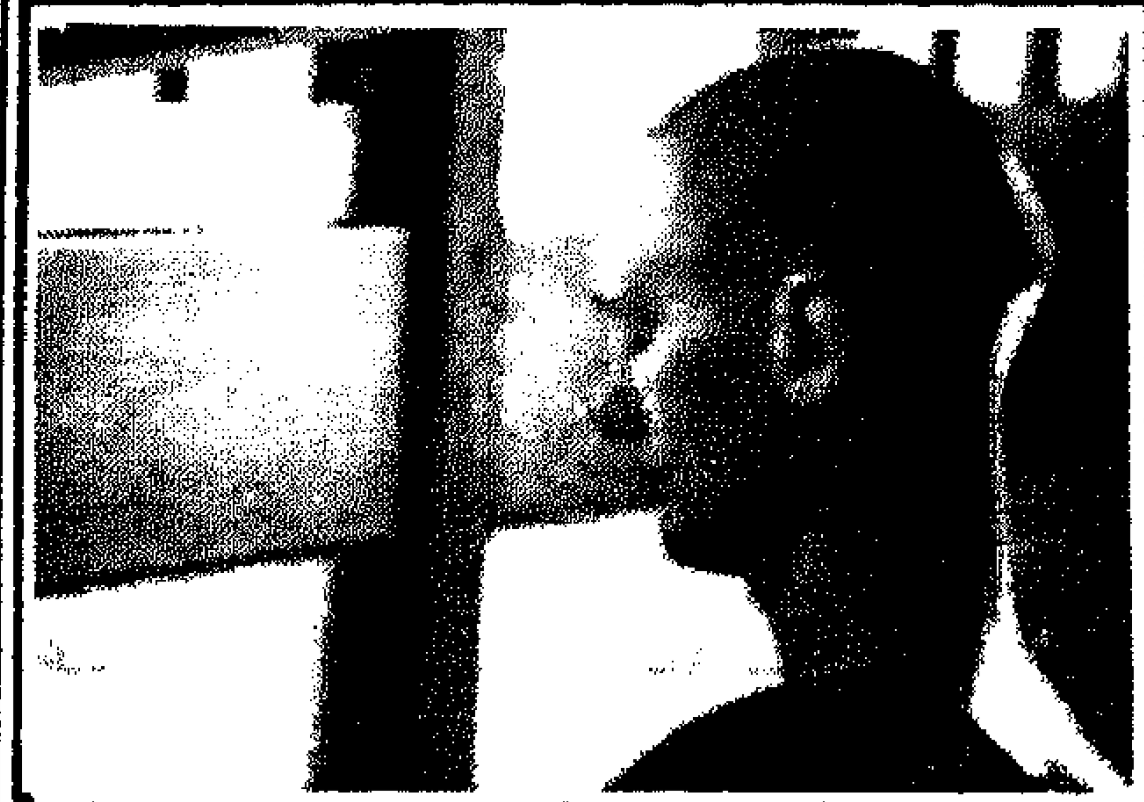
في الصباح الباكر ، الرابعة والنصف ، يطرق أحد الرهبان بعصا خشبية على طبل . إنه وقت الإستيقاظ من النوم . في الخارج الظلام يخيم على كل



الصلاة قبل تناول وجبة



فتاة أمريكية تمارس الرياضة



الصمت نوع من الطقوس

شيء .. وأعضاء الفريق ، الداخل في هذه التجربة القصيرة ، يحاولون كسر عادة قديمة يومية ، فليس من الطبيعي أن يستيقظوا في هذا الوقت ..

وفوراً يتجه الجميع إلى قاعة التأمل ، كل واحد يلتقط مخدة ليجلس عليها

في القاعة ، يطوي ساقيه ، ويجلس بصمت ، يركز نظراته إلى شيء يتخيله ، ويتأمل هذا الشيء ، دون غيره ، طوال وقت الجلسة . . إنها رحلة إلى أعماق الذاكرة . . . الجسد . . الكون . . المخيلة وغيرها .

هذه الجلسة الأولى هي عادة يومية للمعابد البوذية ، التأمل ، يقول الراهب الأكبر في المعبد ، عملية سهلة ، وبسيطة تماماً . ويضيف : حين نتأمل فإننا لا نفكر في شيء محدد . .

تستغرق هذه الجلسة مدة ٤٥ دقيقة هي ، بالنسبة للمتأمل الحقيقي وقت يتبخر بسرعة ، بعدها هناك راحة لساعة وربع الساعة، ويعتبر هذا الوقت وقتاً حراً يستطيع المرء أن يقوم فيه بالمشي في الحديقة أو أن يقرأ في زاوية ما . في السابعة ولمدة أربعين دقيقة يتم تناول وجبة الفطور . وكما تناول الغداء أو العشاء فإن كل شيء يجب أن يتم في صمت تام ، فتناول وجبة هو عمل تعبدي أيضاً ، إنه تطابق مع الجسد . في المعبد تناول وجبة يجري حسب التقاليد اليابانية - الجميع يأخذون حصصاً متساوية ، ولا يمكن ترك أي شيء في الصحن ، لا يمكن رفض الغذاء أو قسم منه . الذين يخدمون هنا ينتظرون حتى انتهاء الجميع ثم يتناولون غذاءهم بدورهم بعدئذ . .

بعد الوجبة الصباحية هناك صلاة شكر ، وبعد الصلاة يترك الجميع القاعة . . الطبخ يتم هنا في المعبد من قبل الرهبان الذين يعيشون فيه والوجبة مكونة من خضار ، طيبة وبسيطة ، على الجدار نقرأ أمراً :

- «علينا أن نأكل بهدوء ، دون استعجال ، وبشكل نلتذ فيه بالغذاء ، على أن يكون كل ذلك في صمت تام . وعلينا أيضاً عدم ملء أفواهنا بالطعام أو الإنشغال بأي شيء آخر . . علينا أن نأكل فقط» .

ويلاحظ الفريق أن الإلتزام بتطبيق هذه الأوامر يؤدي ، قبل كل شيء إلى إنفتاح شهيتهم للطعام . إذن فالتغير بدأ .

من الثامنة وحتى التاسعة كل فرد يقوم بواجب معين في المعبد : تنظيم

الحديقة ، تنظيف القاعة ، إزالة الغبار من هنا وهناك . وبعد هذا العمل يدعى الجميع إلى القاعة للقيام بفترة تأمل أخرى تمتد حتى التاسعة والنصف ، ومن العاشرة إلا ربعاً حتى العاشرة والربع . .

في المعبد تقيم سيدة أمريكية ، كانت معلمة ، جاءت هنا بعد أن تقاعدت . . إنها في الثانية والخمسين من عمرها . . طلقت زوجها ، وباعت كل أشيائها وجاءت لتعيش زاهدة . إنها في تأمل متواصل حتى في أوقات الراحة أحياناً . .

من العاشرة والنصف وحتى الحادية عشرة ، محاضرة أخرى بالإنجليزية . . من قبل الراهب الأكبر في المعبد ، « ناشيجاما » ، عن تعاليم الأستاذ البوذي القديم « دوجين » ، الذي عاش في القرن الثالث عشر . ويسأل الراهب الأكبر : لماذا نقوم بتطبيق الطريقة البوذية في التأمل ؟

ويجيب على السؤال : ـ لأننا نطبقها لرغبتنا في فهم الحقيقة . ثم يضيف ـ لكي تجد الحقيقة يعني أن عليك الوصول إلى الحقيقة البوذية . ما هي هذه الحقيقة ؟ . .

يبدو أن الإجابة على السؤال سيأخذ وقتاً أطول ، لهذا يعلن الراهب الأكبر تأجيل الجلسة لأن وقت الغداء قد حل .

بعد الظهور في المساء ، تكرر ما حصل في الصباح ـ المحاضرات ، « . . جلسات التأمل . العمل في المعبد حتى حل العشاء في السادسة مساءاً . قبل النوم . في حوالي الثامنة . جاء وقت الإستحمام . في التاسعة تنطفىء الأضواء وعلى الجميع التوجه إلى الفراش . إنه وقت النوم . هنا أيضاً إستطاع المعبد كسر عادة أخرى من عادات الفريق اليومية ، وهي السهر حتى وقت متأخر من الليل . . لكن أعمال اليوم كانت متعبة ، الأذهان أنهكت بالجلسات والمحاضرات ، وهكذا نام الجميع . .

رغم تعودهم تدريجياً على هذا النمط من الحياة ، فإن بعضهم كان ينتظر بفارغ الصبر إنتهاء تجربة الأيام الثلاثة ، ربما شوقاً إلى التلفزيون ، أو الخروج إلى مطعم مزدحم بالبشر الضاحكين . . ومع ذلك فإن هذه التجربة القصيرة عملت عملها بضرورة منح الجسد وقتاً مناسباً ، يومياً للراحة التامة ، والتأمل ، أي إعطاء الجسد بعض حقوقه الضرورية . وبهذه الطريقة يبدأ الإنسان في التفكير بمدى أهمية وضرورة بعض ما يفعله يومياً ، يراجع أفكاره ، فيجد معظمها أوهاماً أو رغبات لا يبررها منطق . . كما عملت هذه التجربة ، عند الفريق ، على اقتناعهم بحقيقة أن شكلاً آخر من الحياة اليومية ممكن ، وليست أشكال حياتنا اليومية صحيحة تماماً . .

في « اليابان » ، أبواب المعابد مفتوحة لأي كان ، لساعات أو لأيام ، وذلك مقابل مبلغ بسيط يدفعه الراغب في التأمل أو التفرغ لنفسه ، . . بعيداً عن أسرته ، أصدقائه وأجواء العمل . .

المعابد في « اليابان » تقع في أفضل المواقع جمالاً من الناحية الطبيعية ، بين التلال ، على ذري الجبال وعند ملتقى الجداول في الريف . . طرق المواصلات ووسائلها متوفرة إلى هذه المعابد . . ويستطيع الراغب شراء ما يريد ، وما يحتاج من كتب عن البوذية ، وطرقها التأملية ـ النيرفانا ـ الزن . . وغيرها . . وهناك ترجمات لأعمال البوذية إلى مختلف اللغات العلمية . .

ربما يعتقد البعض أن دخول معبد بوذي ، بهدف التأمل ، هو عمل بسيط ، الأمر ليس كذلك . . إنه تجربة جديدة ومختلفة ، تشبه فتح نافذة والإلقاء بالنفس في التاريخ الثقافي والديني لليابان . . إنها في الحقيقة تشبه النسيان التام لكل ما نعرفه ، أو فتح نافذة النفس والتوغل فيها إلى أعماق لا يفهمها إلا المتوغل وحده ، وهو في كل الأحوال لا يستطيع التعبير ، باللغة ، عن تجربة كهذه . فالتجربة الحقيقة مع النفس لا لغة لها . .

* * *

القهوة التركي ممنوعة ..
منعاً باتاً في قبرص اليونانية !

«لارناكا» بلدة تشبه حي المعمورة بالأسكندرية . . تقع في جنوب جزيرة قبرص ـ في الجزء اليوناني ـ أول نصيحة تقدم لك قبل هبوط الطائرة في مطار « لارناكا » :

ـ **«إياك أن تطلب فنجاناً من القهوة التركي . . حتى لا تتسبب في أزمة . .**

والسبب طبعاً هو العداء بين تركيا وقبرص بعد أن استولت تركيا على الجزء الشمالي من الجزيرة وفصلوا بين الجزئين ، الشمالي والجنوبي بخط وهمي ، أطلقوا عليه إسم «الخط الأخضر» ويسميه أهل الجنوب «بالخط الصدىء» . . أما فنجان القهوة التركي الشهير فهو معروف في قبرص الجنوبية بإسم « القهوة اليوناني » .

* * *

* و« لارناكا » . . عبارة عن شارع رئيسي ممتد على شاطىء البحر يعيش أهلها على السياحة فقط . . وموسم السياحة ممتد صيفاً وشتاءً . . فهي في الصيف تشبه الأسكندرية في زحامها . . وفي الشتاء مناخها قريب من مناخ مصر . . لذلك تعتبر ملجأ للسياح القادمين من شمال أوروبا ، والكتلة الشرقية .

أهم ما يميز هذه البلدة الصغيرة ، النظافة والنظام والإهتمام بالشكل والمضمون . . والمواطن هناك يعمل من أجل راحة ورفاهية السائح . . ويقابلك دائماً بالإبتسامة ، حتى إذا « فاصلت » في ثمن ما تشتريه من المحلات .

العملة المتداولة هناك «الجنيه القبرصي» وهو في نفس قوة الجنيه الاسترليني . . المائة دولار أمريكي تستبدل هناك من البنك بـ ٤٤ جنيهاً قبرصي ، أي أغلى من الجنيه الإسترليني . . وخارج البنك المائة دولار تساوي ٤٣ جنيهاً قبرصياً . .

كل السلع الموجودة في الأسواق معظمها مستورد من اليونان وانجلترا ، والصناعات المحلية محدودة مثل صناعة الجلود والأخشاب ، والكثير من التماثيل المصنوعة من الرخام . .

البضاعة المستوردة غالية جداً ، خاصة الأدوات الكهربائية اليابانية ، التلفزيون الياباني الملون ١٦ بوصة يصل ثمنه إلى ألفي جنيه مصري أي عندنا أرخص . . البلوفرات الرجالي العادية تصل إلى أكثر من ٧٠ جنيهاً مصرياً . . والجاكيت الجلد الحريمي الراقية يزيد ثمنها على ٢٥٠٠ جنيه مصري . . وأقل حذاء حريمي ـ صناعة محلية ـ لا يقل ثمنه عن مائة جنيه مصري . .

لا توجد أزمة مواصلات في «لارناكا» التذكرة في الاتوبيس تساوي ٢٥ قرشاً قبرصياً أي حوالي ١٢٠ قرشاً مصرياً والتاكسي يحاسب بدون عداد ، الفرد بجنيه قبرصي (٤ جنيه مصري) طالت أو قصرت المسافة .

والمرأة القبرصية تعمل بجانب الرجل في كافة ميادين الخدمة السياحية . . ولا تعرف المساحيق والألوان الأوروبية ولا تذهب إلى مصفف الشعر . . امرأة عملية جداً في ملابسها وزينتها . . تنتقل بالدراجة والاتوبيس والقليل منهن يستخدمن السيارات الخاصة . .

* * *

* الكاميكازي والهاراكيري :

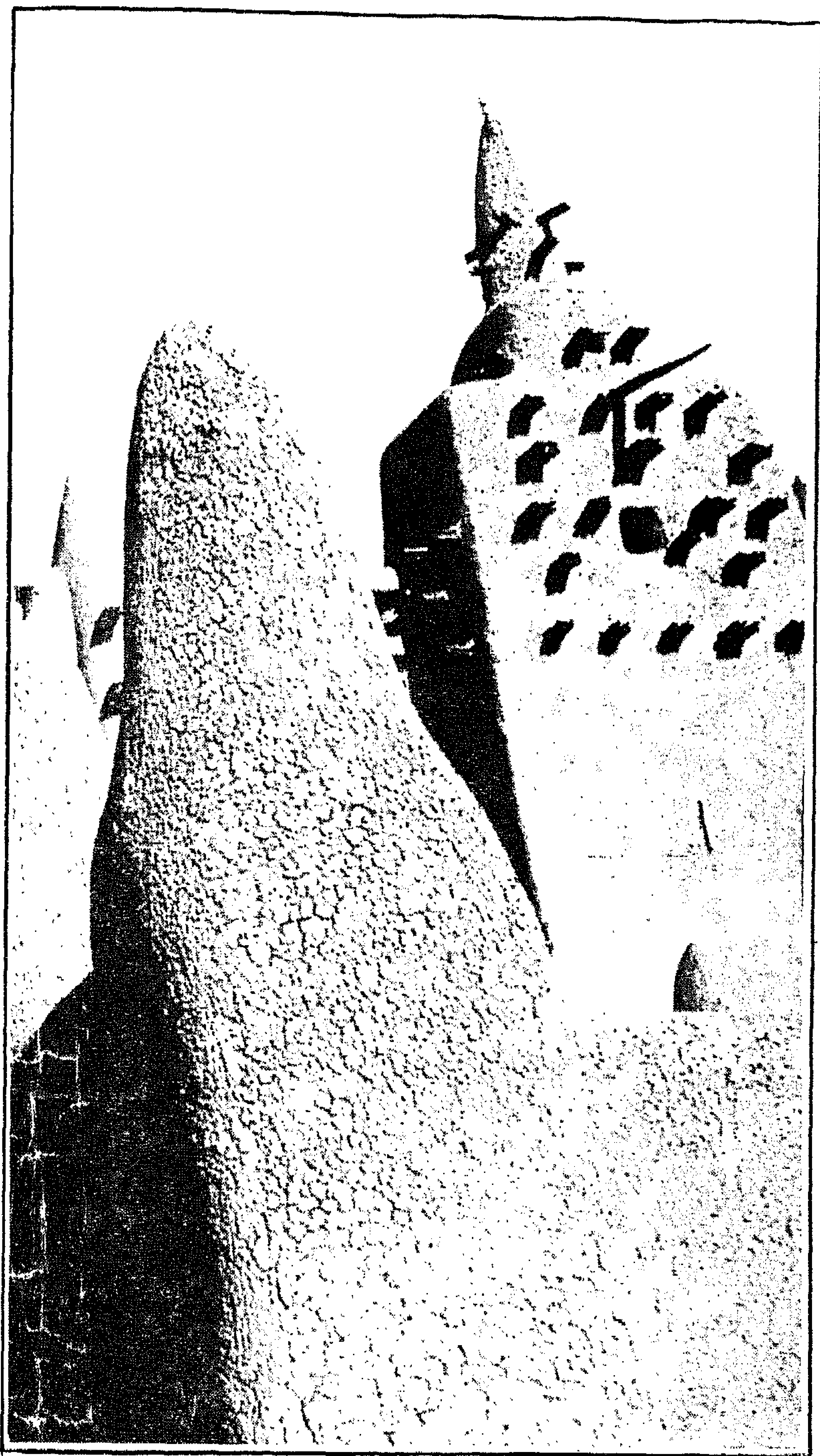
طقوس مرعبة ..
ما زالت سائدة في «اليابان»

يفيد قسم «المحفوظات» في الجيش «الياباني» أن حرب «المحيط الهادي» ، التي اندلعت بين «اليابان» و «الولايات المتحدة الأمريكية» خلال الحرب العالمية الثانية ، تسببت في الموت الطوعي لـ ٤٦١٥ طيار ياباني في مهمات انتحارية . . كان هؤلاء الطيارون يلقون خلالها بأنفسهم مع طائراتهم على مواقع العدو ، ومراكبه الحربية في بارجات وحاملات طائرات . . وكادوا أن يتسببوا في اندحار «الولايات المتحدة» في تلك الحرب . . لفداحة الخسائر من جراء هذه العمليات الإنتحارية . .

ولعل العقلية «اليابانية «الموسومة بتقاليد وتعاليم «الشنتو» و «البوذية» كانت وراء ظاهرة العمليات الإنتحارية التي تعرف باسم «الكاميكازي» . .

فقد دعت هذه التقاليد أبناءها إلى التضحية بأنفسهم . . معززة لديهم فكرة الهزء بالموت ، والتضحية ، ونكران الذات ، بحيث طبعت تاريخ «اليابان» برمته . .

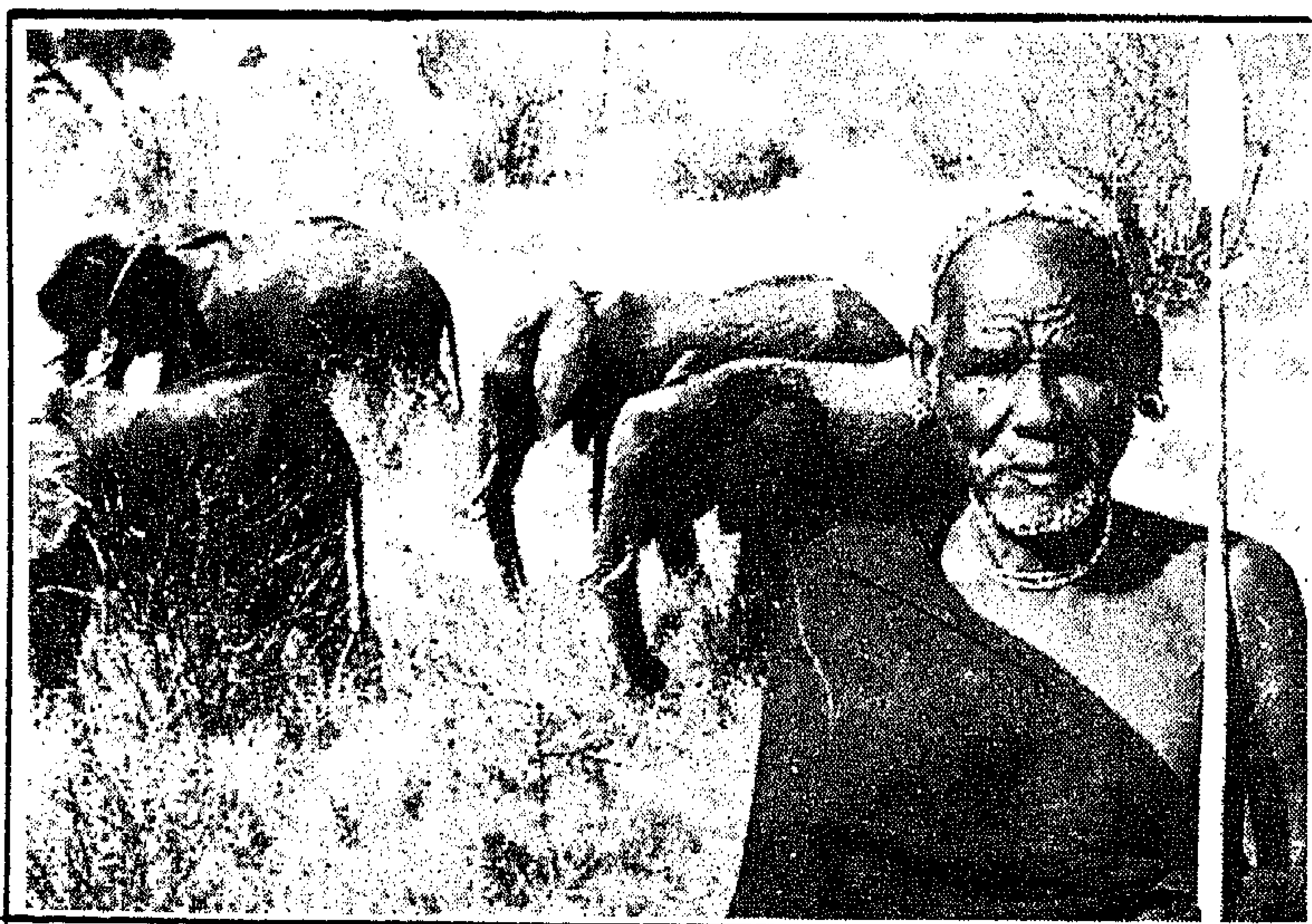
ولا تنفصل «الكاميكازي» عن التاريخ الياباني ، وحضارة هذا البلد . . التي لطالما ضمت التعاليم والقيم التي تمهد ، عادة لمثل هذه الظواهر



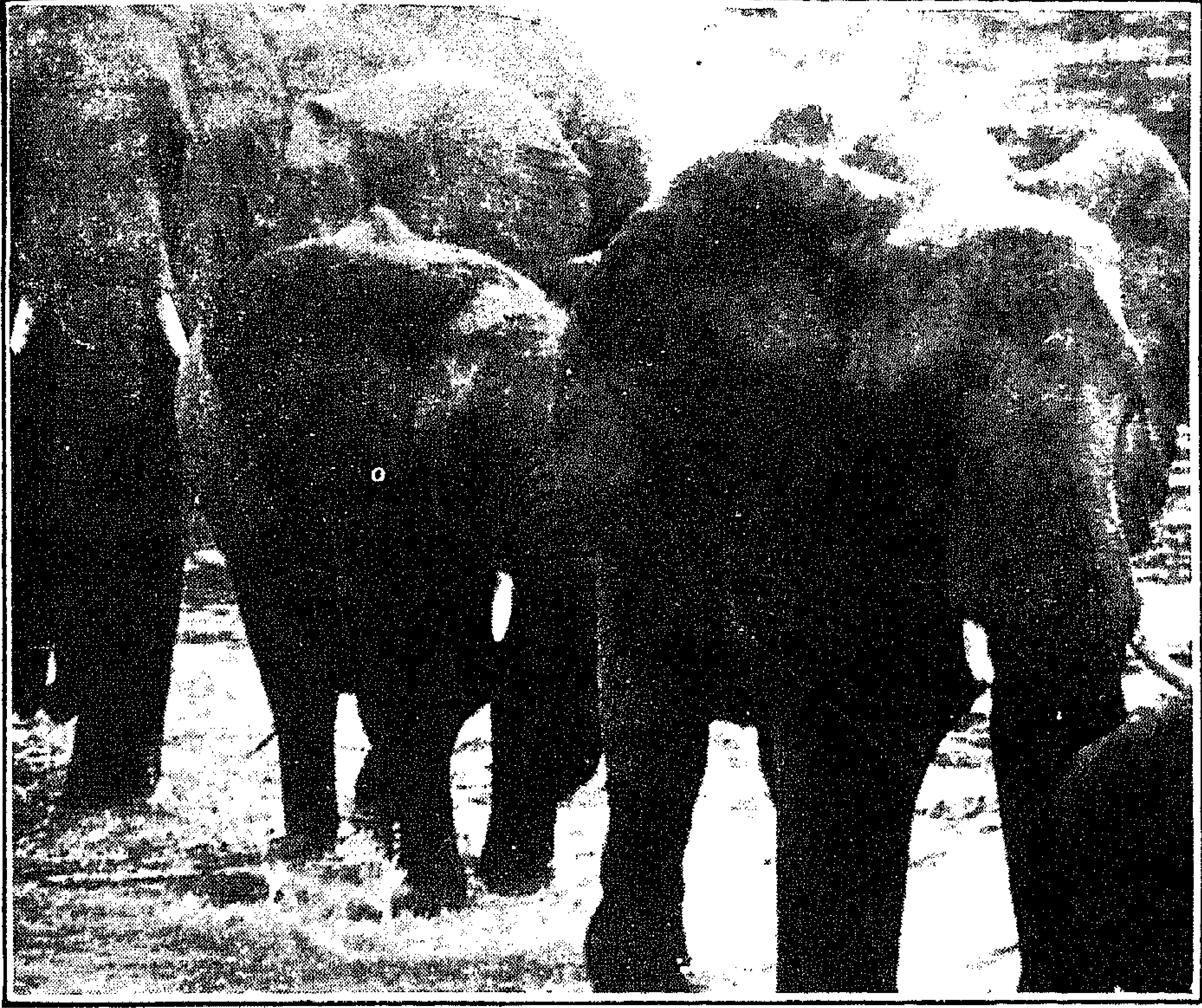
منازل
من الطين



لا تترك بدون
تصوير إلا آثار
قدميك !



شيخ إحدى القرى الكينية



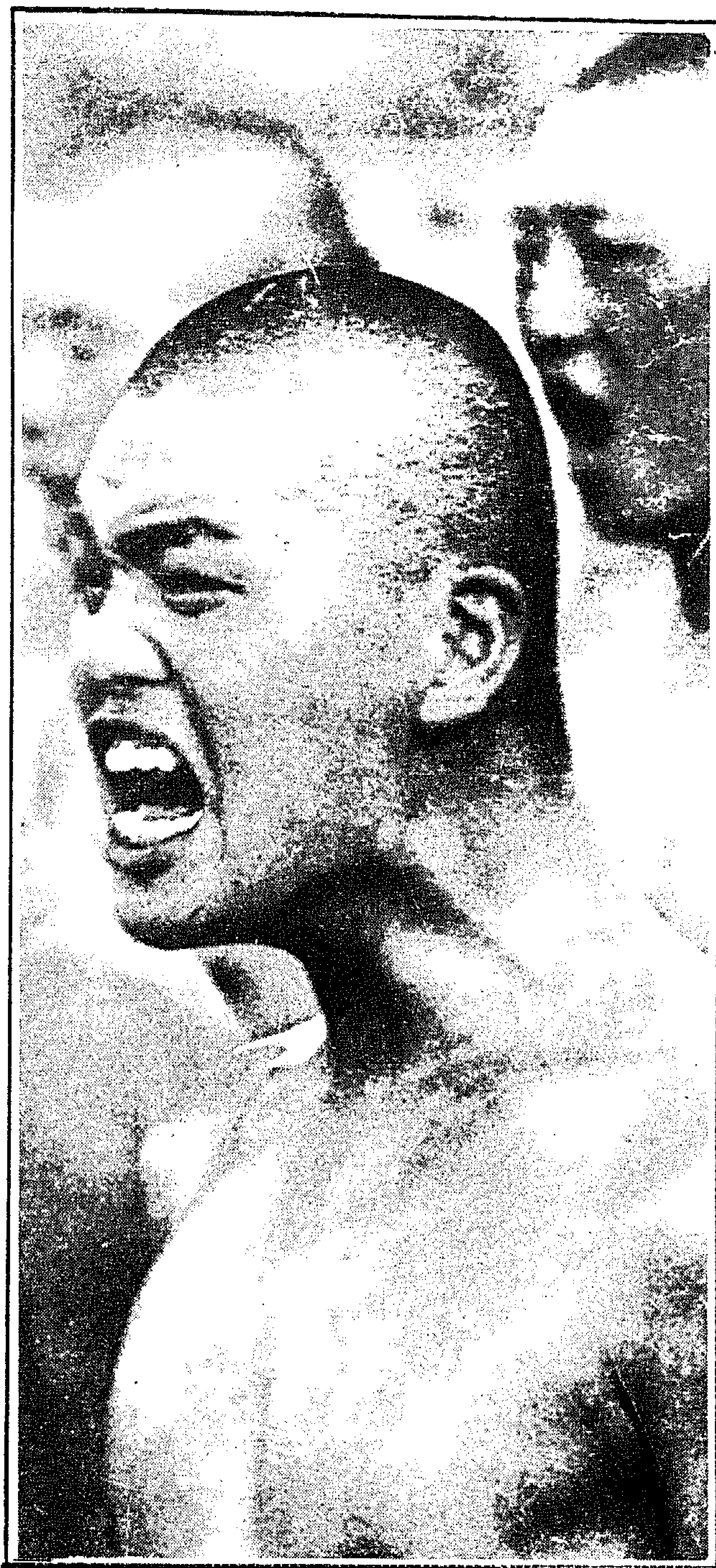
قطعان الفيلة



صبية من إحدى القرى الواقعة في الأحراش



وشم على جسده ملاحم أجداده السامورائيين



أحد الممارسين
للطقوس المخيفة



صيحة الرعب



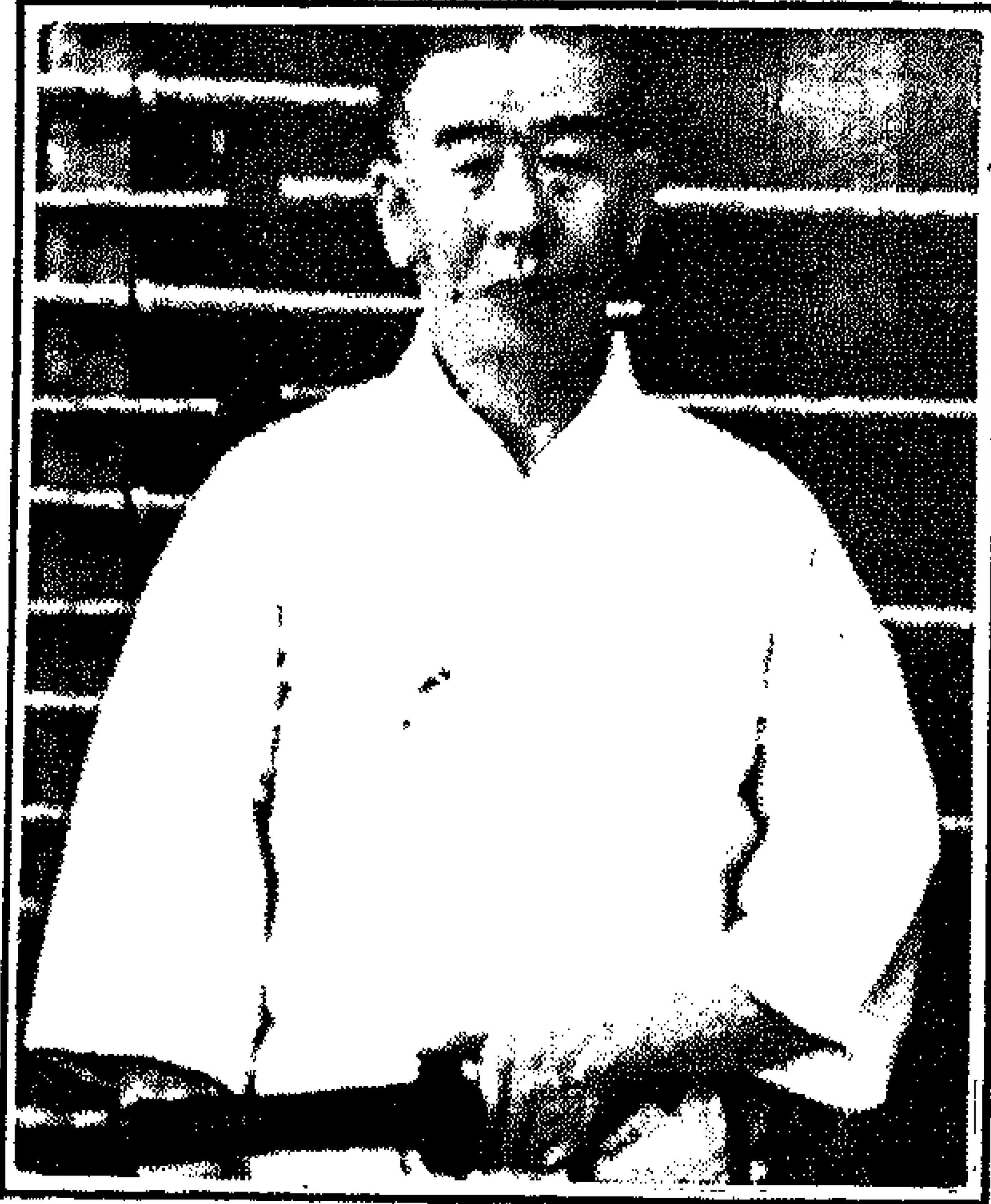
تقاليد لم يدفنها التاريخ

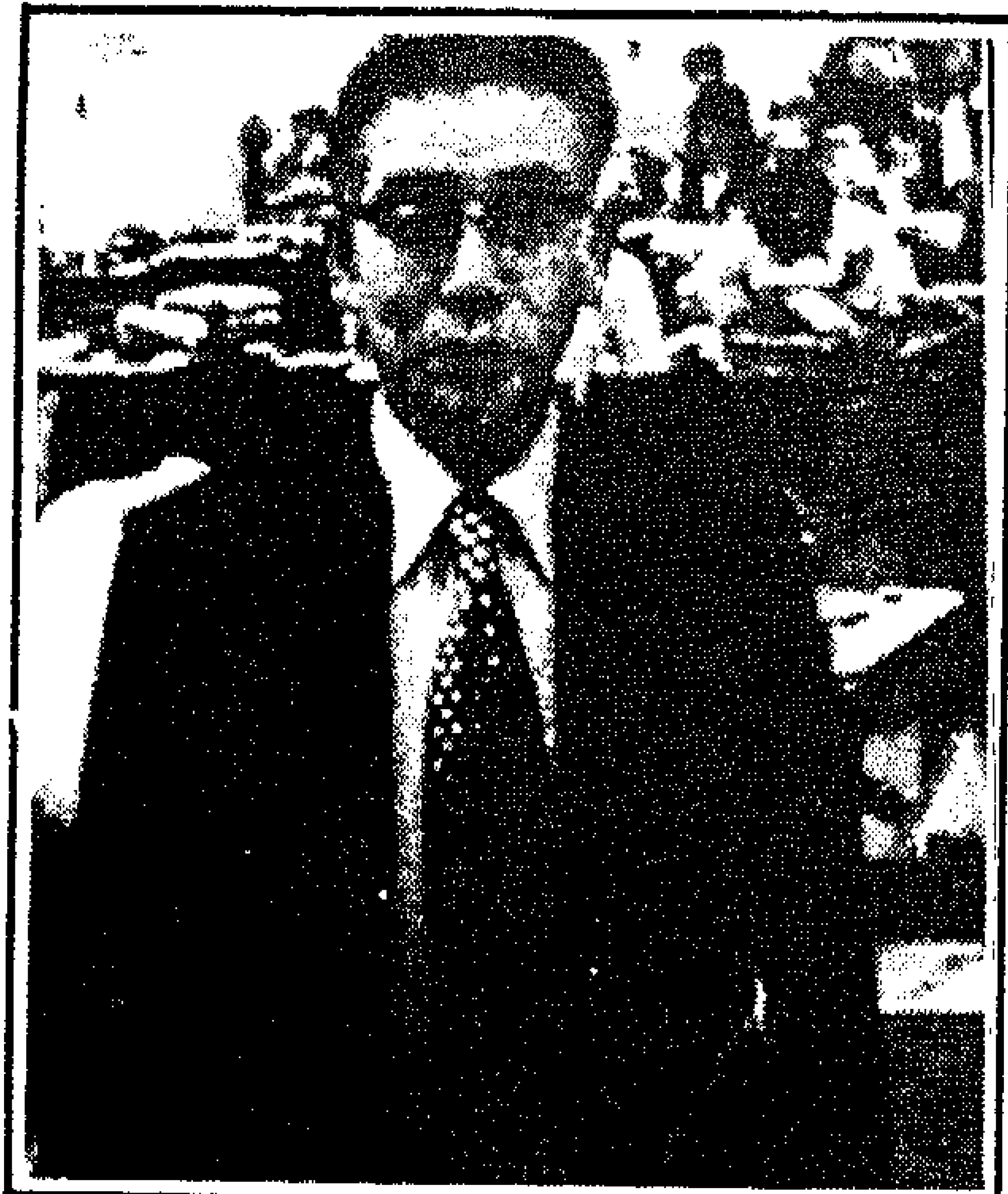


ينشأون على تقاليد الطاعة العمياء في سن الطفولة



هاشيدو وادا ، أحد أكبر معلمي المبارزة بالكاتاتا





هايمي سوزوكي ، مدير مبيعات ميتسوبيشي نهاراً ، ويعلم موظفيه المبارزة بالسيف ليلاً



ساموارئيان في فيلم لأكيرا كوروزاوا

فقبل «الكاميكازي» سادت ولا تـزال ظاهـرة «الهاراكيـري» . . (الإنتحار ببقر البطن) التي كان الأعيان والنبلاء يلجأون إليها لوضع حد لحياتهم متى دعت الحـاجة ، خـاصة عنـدما كـان يحكم على أحـدهم بـالإعـدام . . فتجنب سيف الجـلاد كفيل بـرد الإعتبار إلى المـذنب بعـد وفـاتـه . . كي لا تعـاني ذكـراه من العار . .

وكان «الساموراثيون» ـ أعضاء طبقة المقاتلين ـ يلجأون إلى هـذا الأسلوب حيث يفشلون في تنفيذ المهام التي كان إمبراطور اليابان أو أسيادهـم المباشرون لا يوكلونها إليهم ، تجنباً للعار الذي يلحق بهم نتيجة هذا الفشل . .

*** طقوس مرعبة :**

ويتطلب «الهاراكيري» شجاعة شخصية فريدة . . إذ ليس بمقدور أي كان

اتخاذ قرار ببقر بطنه وهو يعلم سلفاً مدى العذاب الرهيب الذي لا شك سيصيبه عندما يغرز سيفه في جسده . .

وقد سادت هذه العادات إبتداء من القرن الثاني عشر لدى أبناء العائلات التي تنتمي إلى طبقة المحاربين ، وليس لدى العامة من شعب «اليابان» .

وفي القرن الخامس عشر صدرت مراسيم عن الأمبراطور الياباني تقر «الهاراكيري» ، وتسمح بممارسته من قبل النبلاء المحكومين بالإعدام ، أو . . «الساموراثيين» الذين صار في مقدورهم قتل أنفسهم بيدهم ، عوضاً عن الخضوع للجلاد الذي كان يقطع رؤوسهم . .

وتتم عملية «الهاراكيري» في طقوس من التحضير الطويل ، والمعقد . . مثال ما فعل وزير الحربية الياباني «يهنانو» الذي أمضى ثلاثة أرباع الساعة بعد استسلام بلاده للأمريكيين في العام ١٩٤٥ ، من أجل الإستعداد لتنفيذ . . «الهاراكيري» . .

وغالباً ما يقوم النبيل الياباني الذي ينوي تنفيذ «الهاراكيري» بتناول وجبة طعام ، تعقبها فترة تحضير نفسية يقضيها في التأمل الداخلي ، راكعاً على بساط ، ثم ينزع ثيابه ببطء ويرفع ما تبقى حتى خاصرتيه . . عندها يتولى صديقه الذي يكون قد اختاره لمساعدته تقديم سيف قصير له ، فيرفعه ببطء إلى جبينه . . ثم ينزل به بهدوء إلى خاصرته اليسرى . . فيغرزه . . ويشق به بطنه باتجاه خاصرته اليمنى . .

وفي تلك اللحظة ، يهب الصديق واقفاً . . ويستل بسرعة خارقة سيفه الطويل (كاتانا) من غمده ، وبضربة واحدة من حده يقطع له رأسه . .

وعلى الرغم من أن المشترع الياباني ألغى عادة «الهاراكيري» ، فما زالت هذه العادات شائعة حتى اليوم في «اليابان» ، وتمارس يومياً تقريباً ، بفارق : أن الصديق المختار لمساعدة منفذ «الهاراكيري» يقدم على قطع رأس صديقه عندما يتبين أن دماً غزيراً يسيل من بطنه . .

وقد حصلت المرأة اليابانية في القرن الخامس عشر على الحق بممارسة «الهاراكيري» التي كانت وقفاً على الرجال والنبلاء . . ومنذ ذلك الحين . . درجت العادة : أن يَهَب الآباء بناتهم خنجراً صغيراً يوم زفافهن بعد أن يخضعن لتدريب حول كيفية تنفيذ هذه الطقوس المرعبة . . إذا اقتضت الحاجة ذلك . . وتتخلل هذه التعاليم أساليب خاصة تخضع المرأة لعملية ربط ساقيها ، كي لا يتخذ جسدها وضعاً منافياً للحشمة حين تقع مضرجة بدمها . .

* * *

*** الساموراثي : جنس لم يندثر :**

لطالما كان «الساموراثيون» عماد الطبقات الحاكمة في «اليابان» منذ العصور القديمة وحتى عصر الإنفتاح على الغرب الذي شهدته البلاد منذ العام ١٨٥٣ . . فقبل هذا التاريخ ، كان المجتمع الياباني ينقسم إلى إمارات ، يسود على كل منها أمير يساعده نبلاء عائلته وأقاربه . .

أما مسألة الأمن في الإمارة . . فكانت في عُهدة طبقة متميزة تدعى طبقة «الساموراثيين» . . وتأتي بعد النبلاء مباشرة . . وهي تسود على الجنود الذين يشكلون جيش الإمارة . . وتحفظ الأمن والنظام فيها ، وتجبي الضرائب من عامة الشعب . .

ونظراً إلى تمتع الساموراثيين بالقيادة العسكرية والأمنية ، كان هَم الطبقة الحاكمة الأول تنشئة أبناء الساموراثيين على تقاليد صارمة تدين بولاء مطلق للسيد ، كي يأمن الأمراء خطر انقلاب طبقة المقاتلين عليهم . .

لذا . . نشأ أبناء هذه الطبقة ، منذ نعومة أظافرهم ، في ظل تربية تجعل منهم منفذين لأوامر أسيادهم الذين يملكون حق الحياة والموت عليهم . وضمن هذه المفاهيم ، نشأت التقاليد اليابانية العريقة التي تخول الأمير إعدام الساموراثي الذي يعمل في خدمته عند فشله في مهمة عهد بها إليه . .

ومع تطور القوانين . . نال الساموراثي حق إنزال الموت بنفسه في حال فشله ، عوضاً عن الخضوع لسيف الجلاد . . وما أسلوب «الهاراكيري» الذي تحادثنا عنه سابقاً والوحشية التي ترافقه سوى نوع من تفكير الساموراثي عن فشله . .

وكان من مصلحة الحكام والأمراء اليابانيين الإبقاء على هذا الأسلوب الوحشي في الإنتحار . . كي تبقى أجواء التخوف من الفشل في ذهن الساموراثي ، وكي لا تسول له نفسه استعمال قوته العسكرية لغير صالح سيده . .

ونلاحظ في هذا الشأن . . أن تاريخ «اليابان» يعج بحكايات الساموراثيين الأقدمين والحديثين ، مثل طياري الحرب العالمية الثانية ، كما نلاحظ أن إندلاع هذه الظاهرة كان يحدث دائماً في أوقات حرجة تمر بها البلاد ، أو الأشخاص . . فيبرز من اليابانيين هذا السلوك لكونهم نشأوا في ظل قوانين لا زالت حتى اليوم تمجد هذه التصرفات ، وتعتبرها سامية . . حتى لو كان موت هؤلاء الضحايا يذهب هدراً في أحيان كثيرة . .

وحتى وزير خارجية «اليابان» السابق «سوناو سونودا» كان يفخر بانتمائه إلى عائلة أنجبت ١٤ جيلاً من الساموراثيين . . وكانت لهم شهرة معلومة في الوفاء لأسيادهم . . وفي البطولات التي حققوها في خدمتهم سلاحهم . . كان السيف الياباني «الكاتانا» ، وهو سيف نشأت عنه رياضة مبارزة تدعى «ياي - دو» يمارسها هذا الوزير يومياً . .

ولعل في الإندفاع الشديد والإخلاص اللا - متناهي الذي نلمسه اليوم لدى كبار وصغار موظفي المؤسسات اليابانية - التي دفعت بالإقتصاد الياباني إلى أعلى المراتب على الصعيد العالمي - ما يذكر بتقاليد «الساموراثيين» القدامى من ضرورة التفاني في سبيل السيد . . ففي العصر الحديث ، توجه هذا التفاني إلى صاحب العمل الذي أمن لموظفه سبل الحياة ، مثلما كان للسيد حق الحياة أو الموت على الساموراثي الذي يعمل تحت إمرته . .

* * *

* نساء ليلة البدر في شمال الهند :

ساحرات في ألوان زاهية يتحولن في ليلة .. إلى «آلهات»

إنهن يعشن في نهاية الصحراء . . إنهن يعشن هناك ، يتقاسمهن : الغبار ، وزبد البحر ، الأزواج والحماوات ، العشيرة بقوانينها المتشددة . .

إنهن يعشن هناك ، ولكنهن ولليلة واحدة من كل سنة . . وعندما يكتمل القمر ويصبح بدراً منيراً ، تفتح لهن أبواب الأرض والسماء ، فيخرجن بعيداً عن أسوار الطين والشوك . . يخرجن بأحلى زينة وأجمل الملابس الملونة . .

ولليلة بكاملها ، يعشن الحرية . . كل الحرية ، وتتحول كل امرأة منهن إلهة لا يُرد لها طلب . . ولمدة أسبوع يخضع لهن كل الرجال . . بعدها يغتسلن في حمام جماعي تشارك فيه جميع النساء . . ويَعُدْن للخضوع التام ، خلف أسوار الطين والشوك . . يتقاسمهن الغبار ، وزبد البحر . .

* * *

هناك في نهاية صحراء « سوراشترا » في شمال غرب « الهند » على بحر سلطنة « عمان » . . تعيش نساء ليلة البدر ، خلف أسوار من الشوك والطين يبنيها بأيديهن السمراء العارية . . ويرتدين ملابس قاتمة الألوان ، ويقمن بجميع أعمال المنزل ، ويهتممن بكل شيء ، لكنهن لا يخرجن من خلف الأسوار إلا لقضاء حاجة ماسة ، ولكن . . لمرة في السنة ، عندما يكتمل البدر في السماء ،

تأتي إليهن الحرية ، ويحول القمر لأيام قليلة حياة هؤلاء الحسناوات إلى ألوان زاهية ، وبسمات مضيئة . . بل وضحكات لا تسمع لهن إلا في أثناء إحتفالات أسبوع الحرية هذا . .

ما هو سر هذه العادة السنوية ؟ وكيف تصل إليهن الحرية عبر اكتمال البدر في سماء الصحراء ؟ النساء أنفسهن لا يعرفن لماذا . . لكن العجائز يرددن أمثالاً . . وأقوالاً حول أسرار الماضي . . وبين التاريخ والأسطورة فروقات جميلة تلمح إلينا بشيء من السر . .

*** يقول التاريخ :**

يقول التاريخ : أن الأجداد ، الذين وصلوا إلى هذه الأماكن الصحراوية الواقعة جنوب «راجستان» في القرن الخامس عشر تقريباً ، كانوا يعيشون من السرقة أو الغزوات على القرى والقبائل التي تعيش في الصحراء . . وكانوا أيضاً يسبون النساء ، وشملت غزواتهم شبه جزيرة «كيتش» كلها وحتى حدود «باكستان» الحالية . .

وعندما قرر الجدود الغزاة الإستقرار في مكان آمن ، لم يجدوا أفضل من البقعة الصحراوية هذه ، الواقعة على شاطىء بحر «عمان» ، فهي تشكل بالنسبة إليهم موقعاً استراتيجياً هاماً . . وبدأت القرية تتشكل . . وشغل قصر «الراجا» ، أي الزعيم المحلي الأول ، وسط القرية ، وعلى أقدامه تم بناء البيوت ثم فيما بعد المجمعات الصغيرة . . أو القرى ، وكل قرية تتألف من عشيرة معينة ، وكلها تقدم الولاء للزعيم المحلي للراجا الحامي ، ورجل السماء على الأرض . .

ومنذ ذلك الوقت ، جرت العادة على أن تبنى القرية على أقدام القصر الكبير . . ونظراً لتعرض نساء المنطقة كلها للسبي على أيدي الأجداد الغزاة اعتادت نساء القرية ألا تخرج من محيط القصر الكبير ، ثم من محيط أسوار البيت الطينية . . وذهب التاريخ وبقيت العادة الموروثة . .



ذات الثوب الموشى بالذهب والفضة وفي عينيها تترقرق دمعة . .



إحدى زوجات المقاتلين



حلية ذهبية : زينة الأنف



في ليلة البدر .. تخرج النساء بألوان العيد

*** تقول الأسطورة :**

لشرح أسباب العزلة طيلة العام والخروج لمرة في السنة يصبحن خلالها الأجمل والأحلى ليشابهن إلهة الحكمة ، والموسيقى «ساراسواتي» . .

وتقول الأسطورة : أنه ذات يوم ، جلس «براهما» الخالق الأساسي ، ذو السمة الإلهية ، في أحضان زهرة اللوتس ، يحمل في يديه الأربع ، كتب الحكمة

الأزليـة الأربعة ، وراح يتـأمل بكـل ما يملك من سلطة وعـظمة ، وشعـر بفراغ رهيب في حياته ، وعن حاجته الماسة لامـرأة يحبها ، ولأنـه إله وسيـد ، يجب أن تكون زوجته مثله . .

وقرر «براهمـا» أن يخلق إلهة عـلى صورتـه ، فإذا بـه يخلق . . «شاتـاروبا» صاحبة المئة شكل ، لكنه ما أن شاهدها حتى أحبها بالرغم من أنها مثله أي أنها إبنته ، وأخطأ «براهما» في خلقه للمرأة . . لكنه أحبها كثيـراً . . أما هي . . فـما أن شاهدت نظراته حتى ابتعـدت يميناً . . لكن ظهـرت رأسها من الجهـة المقابلة لجسم «براهما» . .

وتكررت محاولة الابتعاد ، وتكـرر ظهور رأس آخـر حتى أصبح بمقـدورها أن تتخذ مئة شكل . . وبرغم حب «براهما لها ، لكنها ابتعـدت . . فحتى الالهة لا يحق لها أن تتزوج بناتها ، وهكذا دخلت «شاتاروبا» في الغيـوم ، ورفضت أن تخرج منها . .

وراح «براهما» يجول في الأرض متشرداً حزيناً . . يفكـر بما فعـل ، وكيف يصحح غلطته . . فعاد مرة أخيرة يطرق بـاب الغيوم معتـذراً من «شاتـاروبا» ، داعياً إياها إلى مشاركته في خلق جميع الكـائنات الحيـة . . عند ذلـك فتح بـاب الغيوم عن سماء جميلة وهبطت منها «شاتاروبا» على الأرض بكل أناقتها ، وكامل زينتها . .

فإذا بالفتاة الصغيرة وقد تحولت إلى امرأة رائعة ، وأصبحت «سـاراسواتي» آلهة الحكمة . . وهذا التغيير سمح لها أن تتـزوج من «براهمـا» ، وتبقى معه ليلة بـدر تساوي مئة عام ، خلقـا خلالهـا الكائنـات الحية . . وبعـد أن تمت عملية الخلق ، ابتعدت «ساراسواتي» تاركة «براهما» في تأمـلاته ، واعـدة إياه أن تعـود إليه لمرة واحدة كل عام وفي الفترة ذاتها ، أي في ليلة البدر . .

وتخليـداً لتلك المغـامـرة السمـاويـة ، تتمتـع نســاء «سـواراتشــري» . . و«كوتشي» ـ (أي القرى التي بناها الأجداد الغزاة) ـ بكل الحرية وكل الحقوق في

ليلة البدر ، فيحق لهن أن يكن جميلات ومرغوبات . . وأن يتلقين الهدايا من الوالد والزوج والإبن والأخوة ، لأنه عندما تأتي ليلة البدر المقدسة كما يقول المثل «الكوتشي» . . يجب أن يكون مظهر النساء اللواتي يتخطين عتبة المنزل موازياً لأكثر الشموس سطوعاً . .

وفي هذه الليلة المقدسة ، تخرج من الصناديق ، الملابس الملونة ، والمطرزة بالذهب والفضة ، والأوشحة المتعددة الألوان . . لكن ، وفي نهاية العيد . . نرى لوناً واحداً يغطي الألوان الزاهية ، ويوحد بينها ، إنه لون الغبار الذي يعشن فيه يومياً ، ويتحسسن وجوده المؤلم ، ويتذكرن حياتهن القاسية . . المُرَّة . . والتعسة لدرجة أنه بعد فترة من نهاية العيد ، ومع ذكريات طعم الحرية لليلة البدر ، تكثر حالات الإنتحار ، وفعلاً فبين هؤلاء النساء توجد أكبر نسبة من حالات الإنتحار في العالم . .

إن قساوة الأعمال اليومية ، ومرارة الحياة ذاتها ، ثم انتظار ليلة البدر ، ولذة طعم الحرية ، تجعل اليأس يتمكن من حياة المرأة . .

إنها هي التي تعمل ، فعندما يأتي المد ، تذوب أسوار الطين والشوك . . فعلى المرأة أن تعيد بناءها ، ثم هناك قطعان الماشية ، والإهتمام بها وبالأسرة أيضاً والأولاد . . إذن ليس القانون هو الذي يجعل هؤلاء النسوة يعشن في عزلة ، بل هي قساوة الحياة اليومية ، والعادات التي تجعل منهن خاضعات مهملات طيلة العام ، وسيدات جميلات مطاعات لليلة واحدة . .

إنهن يخضعن للأب ، ثم للعم أو الأخ الكبير ، ثم للزوج ، والحماة . . . أعمالهن اليومية . . الطبخ ، وترتيب المنزل ، وتربية الأطفال . . وهذا لا شيء بالنسبة للخضوع العاطفي والفكري . . إذ على الواحدة منهن في كل مناسبة أن تظهر الحرص على الإختباء خلف الرجل ، وعدم إزعاجه في عرض ثقافتها إذا كانت متعلمة . . لأن المرأة المتعلمة تفقد رونقها ، ونادراً ما يحدث هذا ، لأن الفتيات اللواتي يذهبن إلى المدارس نادرات . . كما على المرأة

عدم الحديث عن العواطف ، خاصة الحب مع زوجها في الوقت الـذي يجب أن تكون فيه جاهزة لطلبه . .

وهذا الأمر الأخير ليس صعباً ، رغم مرارته ، لأن الزواج عن عاطفة نادر الحصول ، فالأهل عادة هم الذين يرتبون الزواج ، والعريس لا يرى عروسه إلا ليلة الزفاف . .

*** قانون «مانو» :**

بـالـرغم من أن القـانـون الحـالي لا يلزم المـرأة بشيء ولا يفـرض عليهـا العـزلة ، لكن تلك القـرى المعزولـة ، ما زالت تعتمـد قـانـون «مـانـو» في حيـاتهـا اليـومية خـاصة فيـما يتعلق بالمـرأة . . وهذا القـانـون يعـود إلى ألفي سنـة قبـل الميلاد . . ويحدد حياة المرأة ببنود كثيرة . .

مثلاً يقول القانون : «الزوجة الصـالحة عليهـا ألا تظهـر استقلالهـا أبداً ، حتى داخل البيت عليها طاعة والدها ، عندما تكون صغيرة ، وزوجهـا لاحقاً ، وإبنها بعد وفاة رب البيت . . وحتى لو كان زوجها إنساناً سيئـاً ، لا يتمتع بـأية فضيلة . فعلى الزوجة الصالحة أن تعبده كإله» . .

وتضاف بنود كثيرة إلى الممنوعـات عند المـرأة . . هي مثلاً ، ممنـوع عليها تسمية زوجها بإسمه ، يجب أن تدعوه فقط بصفـة الغائب . . أي «هـو . . رب البيت . . أبـو فلان . . » ثم عليهـا ألا تسير إلى جـانبه ، بـل عـلى بعـد ثـلاث خـطوات خلفـه ، ولا تـدخـل إلى إجتمـاعـات تضم رجـالاً ، ولـو كـانـوا من أولادها ، وأخوتها . . وحتى لو كان هذا الإجتمـاع يخصها ، ويتعلق بـأمرهـا ، وهي أيضاً لا تأكل إلا بعد زوجها ، وعليها أن تعيش في منـزل أهل الـزوج . . وبالتالي . . يجب أن تقبـل ، وباحتـرام شديـد ، نصائـح وأوامر حمـاتها ، والتي تتعامل معها حسب قيمة المهر الذي قدمه أهلها ، والحماة المـطاعة إيـاها ، تحلم دائـماً أن تموت زوجـة إبنها ، كي تبحث لـه عن عـروس غيـرهـا تـدفـع مهـراً مرتفعاً . .

لذلك ترتفع نسبة الموت إحتراقاً بين النساء المتزوجات ، وأكثر الحوادث هي مفتعلة ومتعمدة ، ومنذ أن تعرفت النساء إلى قماش الساري : (ثوب المرأة) القطني ، لم تعد ترتدي أبداً الساري ذا الخيط النايلون الذي يحترق بسرعة ، ويحرق معه المرأة . .

وبالرغم من هذه المظاهر للحياة اليومية القاسية التي تعيشها نساء تلك القرى ، فهناك البعض منهن يستطعن الإستفادة من بعض الواجبات المفروضة عليهن للحصول على بعض الحرية . . فالمرأة في الواقع هي التي تهتم بالبيت ، والأولاد . . وأكثر الأحيان هي التي تشتري ما يلزم (وهذا حسب مزاج الرجل) . .

فهي هكذا تستفيد من حرية التنقل خارج البيت ، والحقيقة : أن الرجل لا يبقى له شيء يعمله فعلاً سوى الجلوس في البيت أو التنزه في الصحراء . . لأنه لا يهتم حتى ببناء أسوار المنزل أو الإعتناء بالماشية . .

إذن فتلك المرأة التي قد لا تخرج أبداً سوى مرة في العام ، لها قوتها الخاصة وسلطتها الخاصة ، وهي غيورة بطبعها ، إنها تمتلك الحلى حسب القانون القديم . . والرجال في بعض الحالات يحترمونهن ، ويعاملونهن بالمساواة . . خاصة في أثناء المحن والمصائب . . لأن النساء في الزمن القديم حاربن مع الرجال في «راجستان» ضد «المغول» و «الإنجليز» . .

وبعض الأمثال القديمة تحدثت عن تفوق المرأة وشجاعتها خلال الحروب ، لكنها أعادت إليها صفة الخضوع الضرورية في أيام السلم . .

*** ٣ طوائف ٣ طبقات :**

كل شيء في تصرف المرأة يتبع قانون العشيرة أي الطائفة التي تنتمي إليها . . وفي ليلة البدر ، واحتفالات العيد ، ترتدي كل واحدة الزي الذي يناسب انتماءها الاجتماعي . . وبالأحرى : الطبقات الاجتماعية . .

وتعود قصة الإنتماء الإجتماعي هذه إلى حوالي ألفين أو ثلاثة آلاف سنة من يومنا هذا . . ففي أثناء الغزوات الأرية ، إنقسم المجتمع إلى العرق الأبيض . . أي الآري المنتصر ، والعرق الأسود . . أي السكان المحليين المهزومين وهذان العرقان تتوزعهم ثلاث شرائح اجتماعية ، تعود أصولها إلى جوهر إلهي يتمحور حول آلهة ثلاثة هم : «براهما» ، و «كاستر‌ا» ، و «فيك» . .

وبالطبع أن الطائفة التي تتبع «براهما» هي الطبقة الأولى ، أو الفضلى . . وفيها يكثر رجال الدين والمبشرون . . لكن في عصرنا الحالي الذي تغلب فيه المادة . . فإن أي شخص من طائفة «كاسترا» أو «فيك» يملك مركزاً في «بومباي» ، أو «نيودلهي» يعتبر مركزه الإجتماعي أفضل من أي رجل دين ، ولو كان من طائفة «براهما» . .

أخيراً تبقى التقاليد . . والعادات هي التي تحكم نساء «ليلة البدر» . . اللواتي ينتظرن طيلة العام ، ويقاومن إغراء الإنتحار هرباً من قساوة الحياة ، ويحلمن بليلة البدر ، حين تفتح أبواب السماء والأرض أمامهن ، ليتحولن إلى آلهات يتزين بالحرير والذهب والفضة ، وإلى جميلات . . تأمر فتطاع . .

* * *

عجائب المخلوقات

«مخلوقات الأعماق»

قديماً ، ومنذ أن بدأ البحارة يعبرون المحيطات ، بدأوا يـرجعون بقصص غريبة عن وحوش وشياطين تسكن الأعماق ، ولكن وعلى مَرّ الأيـام بدأت هـذه القصص تؤول إلى النسيان ، خاصة لأن رواتها كانوا يتهمون بأنهم قالـوا ذلـك تحت تأثير شرب الخمر . . لكن بعض هذه القصص لا يمكن تجاهله . .

كل منا يتذكر فيلم «الفـك المفترس» الشهـير الذي أفـزع المصطافـين على شواطىء «أمريكا الشمالية» المطلة على «المحيط الأطلسي» وهنا طبعاً نتحدث عن فيلم وليس عن حقيقة . .

ولكن إذا عدنا إلى تواريخ سابقة مثـلاً إلى عام ١٦٣٨ وقـرأنا الصحف في ذلـك الحين لـوجدنـا أن هناك جـدلاً يدور حـول الوحـوش البحريـة الأفعوانيـة الشكل التي تعيش قرب رأس «آن» . .

ولكن وفي عام ١٨١٧ شاهد الناس ولأول مـرة الوحش البحـري المسمى «مانيا» قرب شاطىء «ماسا شوسيت» كان ذلـك في السادس من أغسـطس وكان نشـاط الوحش منصبـاً على منـطقة الصيـد في «جلوستر» ، وقـد أقسم أحد عشر شخصاً على أنهم رأوه ، وكما قيل ، كان طوله نحو العشـرين متراً . . ولـونه بني غامق . ويشبه شكل الأفعى . .

وقال البحار «آموس ستوري» بأنه قد رآه مرتين ، ورأس هذا الوحش يشبه السلحفاة ، وهو أكبر من رأس أي كلب رآه طول عمره ، وكان يرفع رأسه إلى ارتفاع ثلاثين سنتيمتراً فوق المياه ، ويتحرك في المياه بسرعة فائقة . .

حاول الصيادون بناء شبكة قوية لإمساك الوحش دون فائدة ، وقامت بعض الدوريات البحرية المسلحة بمطاردته . . وتمكن أحد أفراد الدورية من رؤيته وإطلاق النار عليه ، وبعد حادث إطلاق النار إختفى هذا الوحش في الأعماق ، ولم يعد يظهر أبداً . .

ربما كان الوحش قد غير رأيه واتجه جنوباً . . فقد ورد تقرير في عام ١٨١٩ عن أن وحشاً بحرياً له مواصفات الوحش السابق قد هاجم المركب الشراعي «سالي» . . وفي نفس العام جرى هجوم جديد أدى إلى غرق مركب شراعي صغير آخر ، وأفاد الناجون من الحادث بأن السبب كان الوحش السابق . .

وتلا ذلك عدة مشاهدات من أناس متعددين ، ومن مستويات مختلفة ، وأحد هؤلاء هو قبطان في البحرية البريطانية . .

قال أثنان من أعضاء جمعية علم الحيوان العلمية الملكية البريطانية في عام ١٩٠٥ ، وبينما كانا على متن السفينة «فالهالا» قرب شواطىء البرازيل قالا بأنهما شاهدا مخلوقاً بحرياً قرب السفينة ، ولم يكونا الوحيدين اللذين رأياه . . فقد رآه ثلاثة من طاقم السفينة . . وكان وصفهما للمخلوق كالآتي : وذلك على لسان أحدهما . .

ـ «لقد شاهدت ما ظننته أولاً زعنفة كبيرة تبرز من وسط المياه وكان لونها بين البني والأسود . . وشاهدت بعد ذلك بقية الجسم . . وكان الرأس شبيهاً بالسلحفاة . . والرقبة كانت في ثخانة جسم إنسان ، ودامت هذه المشاهدة بضع عشرات من الثواني إذ كانت السفينة تسير بسرعة كبيرة» . .

وقد روى كثيرون أيضاً عن رؤيتهم لأمثال هـذه المخلوقات في البحيـرات وليس فقط في البحر ونذكر هنا بعضاً منها . .

*** كول :**

وهي منطقة في شمال غرب «اسكوتلندا» ، ففي عـام ١٨٠٨ شاهـد أحد رجال الكهنوت ، بينما كان يصطاد قرب جزيرة «كول» ، مخلوقاً بحرياً بشعـاً ذو رقبة طويلة ، وقد أيد ثلاثة عشر صيـاداً من سكان المنـطقة إدعـاءه . . وأضاف بأن طول المخلوق يبلغ العشرين والخمسة وعشرين متراً . .

*** بورت :**

قبض الإستراليون على حيوان بحري غريب الشكل في إحدى البحيـرات في عام ١٨٤٨ وكان رأس الحيوان يشبه «الكنجـارو» ، ولكن عنقه أطـول ، وله عـرف طـويـل . . ويعتقـد الكثيـرون بـأن هـذا الحيـوان هـو نفسـه حيـوان «البانيب» ، . . وهو حيوان غامض كـان الإعتقاد سـائداً بـأنه يسكن البحيـرات البعيدة النائية والأنهار في عدة أماكن من «استراليا» واسم هذا الحيوان مشتق من أصل معناه «شيطان الماء» . .

*** جزر جالبا جوس :**

وهي منطقة تقع في «المحيط الهادي» ، يدعي واحد من اثنـين من صيادي الحيتان الأمريكيين بأنهما ، وبينما كانا يبحران جنباً إلى جنب قرب ساحل الجزيرة المذكورة في ١٨٥٢ ، شاهد أحدهما فجأة ما ظن أنه « حوت » كبير فأرسل ثلاثـة قوارب للتأكد من الموضوع . . وقام الرجال برمي الحيوان بـالحراب ، وقتلوه . . ولكن بعد أن كان قد قلب قاربين من هذه القوارب . .

وقد وصف الناجون من الحادث الحيوان بأن طوله يبلغ نحو الخمسين متراً ولونه بني وقام القبطان فيما بعد بقـطع رأس الحيوان ووضعـه في الكحول طمعـاً بجـائزة . . وودع صـديقه واتجـه نحو البـر ، ولكن للأسف إذ لم يصـل إلى البر

مطلقاً . . وربما غرقت سفينته في طريقها إلى البر دون أن يعلم بها أحد . . وروى هذه القصة القبطان الثاني . .

*** بحر الشمال :**

في عام ١٨٨١ هاجم وحش غريب الشكل ذو سنام قارب الصيد السكوتلندي «بيرتي» . . وقد أطلق أحد البحارة النار عليه لكنه لم يخف وتابع الغطس في الأعماق حول القارب . . ولعدة ساعات ثم اختفى عندما بدأ الليل للهبوط . .

*** لان دوادنو :**

وهي منطقة تقع في غرب مقاطعة «ويلز» البريطانية فقد شاهد محامي مخلوقاً داكناً بحجم مركب يقطع الخليج ، وقدر هو ومرافقه طول المخلوق بستين متراً .

*** كيب تاون :**

في «جنوب أفريقيا» شاهد طاقم السفينة البخارية «أمفلي» مخلوقاً بحرياً قرب شواطىء المدينة في عام ١٨٩٣ ، وقد وصفوه بأنه مخلوق يبلغ طوله ٢٥ متراً ، ويشبه شكله شكل سمك الرعاد . . ولكنه يظهر كأنه رعاد عملاق ، ويبلغ قياس فكيه مترين . .

*** أوركني :**

في «اسكوتلندا «شاهد أب وإبن مخلوقاً له رقبة تشبه الزرافة . . ظهر فجأة من الماء وارتفعت رقبته حوالي ستة أمتار عن سطح الماء . .

*** سانتا كروز :**

في «كاليفورنيا» شاهد الناس جثة ضخمة على الشاطىء في عام ١٩٢٥ ، وقد فحصها علماء الحيوان هناك ، وأقروا بأنهم عجزوا عن معرفة نوعها .

وكانت هذه الجثة لحيوان طوله نحو عشرة أمتار له رقبة طويلة رفيعة ورأس منفوخ . .

*** براساند :**

شاهد الناس على الشاطىء جسماً مقطوع الرأس طوله نحو عشرة أمتار ، وله أربع زعانف ، وذيل مسطح ، وكان ذلك في عام ١٩٢٨ ، وقد صرح العلماء أن نوع الحيوان غير معروف لديهم من قبل . .

*** سليت :**

وهي منطقة في شمال غرب «اسكوتلندا» إدعى إثنان من رجال الكهنوت أنهما قد شاهدا ثعباناً بحرياً ضخماً له سبعة سنامات ، أو لفات ، ويبلغ طوله ثلاثين متراً .

*** خليج كاد بوري :**

في «كولومبيا» البريطانية شاهد بعض الذين يقضون عطلتهم على الشاطىء في عام ١٩٣٢ ثعبان البحر الذي دعوه لاحقاً «كادي» وقد بدأ يظهر على السطح مخرجاً جسمه طية فطية ، وقد قدر الناس طوله بـ ٢٥ متراً . . وقد ادعى أناس آخرون أنهم قد شاهدوا «كادي» في نفس المنطقة ، ويبلغ عدد المشاهدين نحو مئة شخص . .

*** بحيرة أوكاناجان :**

«كولومبيا البريطانية» . . منذ منتصف هذا القرن كان الناس يشاهدون وبشكل متواتر مخلوقاً ضخماً يقطن هذه البحيرة طوله نحو العشرين متراً . . وله طيتان أو أكثر في ظهره . . وقد أطلق عليه الناس أسماء مضحكة منها اسم : «ناتاكا» . . ومعناه «روح البحيرة» . . وسماه آخرون : «أوجوبوجو» وقد أكل هذا الوحش حصانين في ١٨٥٤ كما أدعى البعض . .

*** جورفان :**

لقد وصف السكان مخلوقاً طوله عشرة أمتار ، ورقبته تشبه الزرافة وهو مرمي على الشاطىء وكان ذلك في عام ١٩٥٣ ، وقد قام السكان بإحراق الجثة . .

*** شاطىء فلوريدا :**

شاهد خمسة من الناجين على طوافة قرب ساحل «فلوريدا» وحش ظهر فجأة ، فسقط أربعة منهم في الماء ، ونجا واحد ليبلغ عن الحادث . .

*** سيبيريا :**

شاهد فريق من جامعة «موسكو» حيواناً يشبه «الديناصور» في بحيرة «الخير» النائية في عام ١٩٦٤ . .

شمال الأطلسي :

شاهد إثنان في مركبهما عام ١٩٦٦ في إحدى الليالي الهادئة وحشاً بحرياً طوله بين عشرة و ١٢ متراً ويشع جسمه بشكل فوسفوري . .

*** بحيرة مورار :**

شاهد إثنان من الصيادين في عام ١٩٦٩ وحشاً يتشمس على الشاطىء . .

* * *

وما زال الكون ملىء بالعجائب والغرائب . .

* * *

الحضارة المفقودة

الحضارة التي غرقت ...
وما زال البحث عنها جارياً

كانت توصف بـأنها أرض غنية مبـاركة ، تكـثر فيها المـزروعات والمنـاجـم الحـاوية عـلى الفلزات القيمة . . بمـا في ذلك الـذهب والفضة ، وشعبهـا مثقف متقدم علمياً . . وهناك على رابية تقع في منتصف الجزيرة . . يوجد قصر ومعبـد يكشف المـدينة كلهـا ، والتي يبلغ طول ضلعهـا عشـرين كيلو متـراً . . وحـول المـدينـة خنـدق مـائي يتصـل بشبكـة من القنـوات تعبـر عن تقـدم حضـاري مدهش . .

كان أهلها يعيشون في رخاء . . وكانت مشهورة في كـل أنحاء الأرض . . وقد أختفت فجأة من على وجه الأرض قبل قرون عـديدة من مـولد المسيـح . . ومع ذلك فما زال اسمها معـروفاً إلى وقتنـا هذا بنفس الشكـل الذي تعـرف فيه باقي الأمم .

واسم تلك المملكة التي تحدثنا عنها كثيراً «مملكة أتلانتيس» . .

وصف هذه القارة إنتقل إلى عصرنا هذا عبر الأجيال إنطلاقاً من الـوصف الذي سرده الفيلسوف الإغريقي «أفلاطون» في عـام ٣٤٧ قبل الميـلاد . . ولعل هذا الوصف كان دليلنا الوحيد لمعرفة صفاتها . .

ومـع أن «أفـلاطـون» لم يصفهـا وصف المشـاهـد . . إلا أنـه كـان يـردد

القصص التي كتبها الرحالة اليوناني «سولون» . . وهـذا الأخير كـان قد سمعهـا من بعض كهنة قدماء المصريين ، . .

ويقول «أفلاطون» أن «أتلانتيس» كانت أمة عظيمة غرق شعبها في الفساد في آخر أيام حياتها فحل عليها الدمار . . فبين عشية وضحاها روعت ، الجـزيرة التي يبلغ محيطها (٥٠٠) كيلو متر بكارثة هائلة جاءت على شكـل إنفجار بـركان عـظيم ، تلاه إرتفـاع هائـل في أمواج البحـر . . وخلال أربـع وعشرين سـاعـة اختفت «اتلانتس» كلياً تحت البحر وكأنها لم تكن . .

وقد قدر «أفلاطون» تـاريخ دمـارها بمـا يكافىء عـام (٩٦٠٠) قبل الميـلاد حسب مقاييسنا الحالية للتاريخ . . أما مكانها فحسب وصفه أيضاً أنها كانت تقع خلف أعمدة هرقل . . وهو المكـان الذي نـدعوه حـالياً «مضيق جبـل طارق» ، وهذا كله يدل على أنها كانت تقع في «المحيط الأطلسي» . .

ويرى « الجيولوجيون » أن هذا الإفتراض غير ممكن نظراً لأنه لا يـوجد أي دليـل يشـير إلى وجـود كتلة أرضيـة كبيـرة في قـاع المحيط تؤكـد صحـة كــلام «أفـلاطون» ، فهـل يا تـرى أخطأ الفيلسـوف في وصفه . . أم أن من نقـل إليه القصة لم يكن أميناً في نقلها . . وأخيراً ربما كانت القصـة كلها من بنـات أفكاره ليعطي الناس درساً وعبرة ، كي لا يحل بهم ما حل بأتلانتيس . .

هذا ، ومع أن القصة كما وصفها زماناً ومكانـاً غير مقبـولة إلا أنها شكلت لغـزاً على مـر القرون دفعت الكثيـرين إلى دراسة المـوضوع للوصـول إلى حقيقة الأمر . .

وفيما يلي بعض الأمكنة التي شك الناس بإمكانية وجودها سابقاً فيها :

١ ـ منتصف المحيط الأطلسي :

هناك جرف صخـري ضخم على شكـل حرف (؟) يقـع في قعر المحيط ويمتد بين شمال وجنوب المحيط . . وبالتحديد بدأً من «أيسلنـدا» شمالاً وحتى

«تريستان دوكونها» جنوباً ، ويفترض البعض بأن أعلى منطقة من هـذه السلسلة الجبلية البحرية كانت يوماً ما تظهر فوق سطح الماء ، وتلك القمم كانت تدعى . . «اتلانتيس» وقد سادت هذه النظرية لفترة طويلة ، إلى أن جاء علماء العصر الحديث وأثبتوا عكس ذلك ، وهو أن هـذه السلسلة كانت منذ آلاف السنين ترتفع رويداً رويداً وليس العكس . .

٢ ـ أمريكا الشمالية :

ما أن عاد «كريستوف كولومبس» إلى أوروبا وأخبر الناس هناك عن الأرض الجديدة التي صادفها في ترحاله حتى تجدد الإهتمام بقارة «أتلانتيس» . . وبدأ الناس يقرنون موضوع «أمريكا» و«اتلانتيس» . . وحتى كبار القوم نفسهم خلطوا بين الموضوعين . .

فقد كتب «السير فرنسيس بيكون» الفيلسوف الإنجليزي المعروف كتاباً خلط به الحقيقة بالواقع تحت اسم «أتلانتيس الجديدة» . .

أما المؤرخ «جون سوين» فقد كتب أنه يمكن أن نفترض أن «أمريكا» كانت فيما مضى جزءاً من الأرض العظيمة التي دعاها « أفلاطون جزيرة أتلانتيس» . . وأن ملوك هذه الأرض قد مارسوا سابقاً بعض النشاط مع «أوروبا» ومع «أفريقيا» . .

هذا وقد سقطت النظرية سريعاً نظراً لأن سكان «أمريكا» في ذلك الحين وبعد فترة طويلة من موت «أفلاطون» لم يكونوا على تقدم علمي يماثل حتى التقدم الذي كان سائداً في زمن «أفلاطون» . .

٣ ـ الجسر الأرضي :

ذكر البعض إمكانية وجود جسور أرضية كانت فيما مضى تربط بين القارات واندثرت على مر السنين . . مثلاً لقد افترض بعض الناس وجود جسور كانت تربط بين «افريقيا» و«أمريكا» . . وأخرى بين «انجلترا» و«فرنسا» ولكن

علماء الجيولوجيا أكدوا أن تلك الجسور لم تكن موجودة خلال الخمسين مليون عاماً الماضية على الأقل . .

٤ ـ بحر الطحالب البحرية «السارغاسو» :

كلمة «السارغاسو» كلمة برتغالية تعني العشب البحري الطافي وبحر «السرغاسو» هو موقع قرب سواحل «فلوريدا» مساحته أربعة ملايين كيلو متر مربع . . ويقع قرب شواطىء «فلوريدا» ، وقد افترض البعض أنه يمكن أن يخفي قارة «أتلانتيس» لكن البحر اتضح أن عمقه يصل إلى ٥٠٠ متراً في تلك المنطقة . .

٥ ـ جزر السيلي :

تحدث قدماء اليونان والرومان والفينيقيين عن أرض القصدير التي تقع قرب السواحل البريطانية ، لكن الوصف المعطى لها لم يكن ليلائم قارة «أتلانتيس» .

٦ ـ بيميني :

أدعى أحد المصورين الأمريكيين بين عام (١٩٢٣ ـ ١٩٤٥) بأن له القدرة على إجراء العلاج الروحي للناس . . إضافة إلى قدرته على الإستبصار في الماضي والمستقبل ، وكان اسم هذا الشخص «ادجار كايس» . . وبالرغم من أنه لم يكن قد قرأ أعمال وكتابات «أفلاطون» إلا أنه ادعى بأنه قد نظر إلى الماضي وزار «أتلانتيس» زيارة فكرية ، وقد وصفها بنفس الطريقة التي وصفها فيها «أفلاطون» قبل ٢٣٠٠ سنة . . غير أنه أضاف بأن ما دمر «أتلانتيس» هو انفجار ذري لأنه حسب رأيه كان سكان «أتلانتيس» قد تمكنوا من السيطرة على طاقة الإنشطار النووي وسخروها لخدمتهم . .

وقد ادعى «كايس» أن ذلك قد حدث في عام ١٠٠٠٠ قبل الميلاد ، وذلك التاريخ يقارب التاريخ الذي أعطاه «أرسطو» . .

وقد حدد «كايس» مكان «أتلانتيس» المفترض في شمال «بيميني» وهي جزيرة صغيرة في «الباهاماس» . . وتنبأ أيضاً بأن قسماً من المعابد المدمرة ستكتشف بعد موته بفترة ، وبالتحديد بين عام ١٩٦٨ و ١٩٦٩ . .

ولا شك بأن هذه القصة الغريبة ، لا يقبلها العقل السليم . . ولكن في عام ١٩٦٨ اكتشف الجيولوجي الأمريكي الشهير الدكتور «مانسون فالتين» وهو غطاس ماهر ، بعض المنشآت الغريبة تحت البحر وقرب سواحل «بيميني الشمالية» . وحينما تابع الغطس عدة مرات للتأكد من نوع هذه المنشآت تأكد بأنها جزء من جدران مرفأ كبير طوله ٦٠٠ متراً ، ويتكون هذا الجدار من قطع حجرية ضخمة سطح كل منها نحو ١,٥ متر مربع . .

بدأت بعد ذلك عدة بعثات بفحص والتأكد من صحة إدعاءات «فالنتين» . . وفي عام ١٩٧٠ قام الدكتور «جون هول» وهو أستاذ الآثار في جامعة ميامي بمرافقة بعثة علمية توجهت إلى نفس المكان . . وكانت نتيجة الأبحاث التي أجراها الدكتور «هول» أن هذه الحجارة هي ظاهرة طبيعية يسمى «الحت الشاطئى ولا يوجد أي إثبات يدعم فكرة أن هذه الأحجار هي من صنع بشري . .

ولكن . . وبعد بضعة أعوام ذهبت بعثتان في عامى ١٩٧٥ و١٩٧٧ إلى نفس المكان وبعد الكشف عن الموقع خرجت البعثتان بنتائج مختلفة عما خرجت به البعثات التي سبقتها . .

فقد صرح رئيس البعثة [illegible] «[illegible]» وبعد أن تمكن من سحب أحد الأحجار من عمق المحيط إلى الشاطئ [illegible] هذه [illegible] ليست طبيعية المنشأ خاصة لأنه وجد فيها فقرات لتسهيل وصلها ببعض [illegible]
متأكد من أنها ليست ظاهرة طبيعية فإنه غير واثق من مسألة المرفأ المزعوم الذي ادعى بوجوده الدكتور فالنتين « . . وهكذا . . لم يصل الموضوع إلى نتيجة . . ولكن المعتقد الآن بأن موقع «اتلانتيس» إن كانت موجودة حقيقة لا يقع في

المحيط الأطلسي ، وأن «أفلاطون» قد إرتكب خطأين حينما تحدث عن الجزيرة .

*** الخطأ الأول :**

هو أن «أتلانتيس» إذا وجدت فإن موقعها داخل البحر الأبيض المتوسط ، وليس خارج أعمدة هرقل . .

*** الخطأ الثاني :**

زمني وليس مكاني ، إذ أن «أفلاطون» ـ حينما سجل تاريخ الكارثة التي حلت بالجزيرة ـ قد كتب خطأ ٩٠٠٠ عوضاً عن ٩٠٠ ، وإذا كان الرقم هو ٩٠٠ حقاً فإن دمار «اتلانتيس» كان قد جرى في عام ١٥٠٠ قبل الميلاد وليس ٩٦٠٠ قبل الميلاد . . والتاريخ الأول يوافق حدوث كارثة تعتبر من أعظم الكوارث في الزمن القديم . .

يرى علماء الآثار بأن الوصف الذي أعطاه «أفلاطون» لأتلانتيس ينطبق على الحضارة «المتوانية» التي سادت خلال العصر «البرونزي» في بحر «ايجه» واختفت فجأة في عام ١٤٧٠ قبل الميلاد دون معرفة السبب .

لقد بينت الدراسات التي أجراها العلماء المعاصرون أن بركاناً عظيماً قد انفجر في وسط جزيرة «مينوان» والتي تدعى الآن «سانتوريني» وتقع في منتصف المسافة بين جزيرة «كريت واليونان» . .

قام علماء الآثار بتفحص المنطقة وبقايا البركان ، ودلت نتيجة أبحاثهم على صورة الكارثة المروعة التي جرت قبل ٣٥٠٠ عام . .

وبما أن العلماء لم يجدوا أي بقايا إنسانية فقد افترضوا أن السكان قد تنبهوا إلى قرب حدوث الكارثة ربما عن طريق بعض الهزات الأرضية البسيطة ، فقاموا بالإبتعاد عنها باتجاه «كريت» . . ولكن يا للأسف فقبل وصولهم كانت الجزيرة قد انفجرت . .

وتطايرت الحمم في الهواء إضافة إلى الرماد والدخان السام ، وهكذا مات

جميع من كان في القوارب إن لم يكن بسب الحروق فبسبب الدخان السام . . وأخيراً تحركت موجة هائلة من المد ارتفاعها أكثر من ستين متراً ، وأتت على من تبقى . . وقد قدر العلماء سرعة هذه الموجة بـ ٣٠٠ كيلو متراً في الساعة . . فقد وصلت إلى جزيرة «كريت» وأتت على ما تبقى من الأمبراطورية «المنوانية» . .

وقد تابعت الموجة حركتها باتجاه «أفريقيا الشمالية» حيث ربما بدأ تأثيرها ليفسر قصة عبور «موسى» للبحر الأحمر ، وكما ورد في التوراة . . ويمكن أن يكون المطر الملتهب الرمادي الذي نشأ عنها وغطى مساحة ٢٥٠٠٠٠ كيلو متر مربع . . قد يكون هذا أصل قصة إصابة المصريين بالأوبئة وهي قصة وردت في التوراة أيضاً . .

قد يكون القارىء قد استغرب هذا الوصف الذي أعطى لحادث جرى قبل ٣٥٠٠ سنة ، ولكن وصف العلماء ذلك بالقياس إلى ما حدث خلال انفجار البركان الأندونيسي الشهير في جزيرة «كراكاتوا» في عام ١٨٨٣ فبنتيجة هذا الانفجار البركاني تدمرت ثلاثمائة بلدة واقعة في جزر «جاوا» و«سمومطرة» المجاورة لمنطقة هيجان البركان ، كما أن دوى الإنفجار قد سمع في «استراليا» وعلى بعد أكثر من ٥٥٠٠ كيلو متر . . أما أمواج الصدم التي نتجت عن الحادث فقد دارت ثلاث مرات حول العالم قبل أن تخمد . . وقد وصل الغبار البركاني إلى «أفريقيا» بل وحتى إلى «أوروبا» وعبرت الأمواج المحيط الهادي ودمرت بعض القوارب على سواحل «أمريكا الجنوبية» . .

وفي وقتنا هذا لم يبق من تلك الحضارة سوى جزيرة «تيرا» . . و «تيراسيا» وقرب هاتين الجزيرتين توجد جزيرتان صغيرتان تبرزان من قلب البحر ويخرج منها دخان أسود في بعض الأحيان وكأنها تذكران الناس بما جرى قديماً . .

«جنان عدن المفقودة»

ليست «أتلانتيس» الأرض الأسطورية الوحيدة التي غرقت تحت

الأمواج . . فهناك قارتان روى أنهما قد اندثرتا دون أثر وكل منهما كانت في وقتها أكبر من «أتلانتيس» بمرات عديدة ، وكانت حصاد المعرفة والحضارة التي وصل إليها البشر في وقتها . .

كانت هناك الجنتان تدعيان «ميو» و «ليموزيا» ويفترض أن «ميو» كانت تقع في المحيط الهادي وتبلغ مساحتها ضعفي مساحة «استراليا» . . أما «ليموريا» فكانت وكما تروى الأساطير تملأ معظم سطح المحيط الهادي وتربط أفريقيا وماليزيا . .

طرحت نظرية «ميو» لأول مرة في عام ۱۸۷۰ حينما أدعى الكولونيل «جيمس شير شوود» بأن بعض الرهبان الهندوسيين قد أخبروه عن هذا السر حينما كان يقضي خدمته العسكرية في «البنغال» ، وقد أراه الرهبان بعض الألواح القديمة كما علموه لغة بائدة تسمى «النعكال» . .

ويضيف «شرشوود» أنه قد شاهد مجموعة من الألواح المشابهة في «مكسيكو» وحسبما جاء في هذه الألواح فإن «ميو» كانت قد غرقت في المحيط من جراء كارثة طبيعية قبل ۱۲۰۰۰ عاماً من الآن . . وجرت معها سكانها البالغ عددهم ٦٤ مليوناً ، هذا وقد لاقت نظرية «ميو» رواجاً في وقتها . .

* * * *

والقصة الأخرى كانت عن قارة «ليموريا» المفقودة . . أطلق عليها هذا الإسم عالم الحيوان البريطاني الأستاذ «فيليب سكلاتر» . . والذي سمى القارة بإسم يشابه حيوان «الليمور» وذلك لأنه كان قد وجد مستحدثات تمثل هذا الحيوان وحيوانات أخرى في كل من «افريقيا» و «ماليزيا» . . مما دعا الأستاذ إلى افتراض وجود تلك القارة ، وكان من أنصار نظريته تلك عالم الحياة المعروف «برنست هيكل» وعالم التطور «توماس هكسلي» . .

كما ذكر البعض قصة عن وجود أرض تسمى «ليونيز» تقع في شمال غرب

الشاطىء الأنجليزي ، ويقال بأن الملك «آرثر» قد زارها مع فرسانه ، ويقال أن هذه الأرض قد غرقت في البحر خلال يوم واحد نتيجة لخلاف بين الساحر «ميرلان» والملك «آرثر» وفرسانه . .

* * *

معجزات الطب

«يخترق صدره جذع شجرة .. ويعيش»

* إنها حقاً لمعجزة . . أن يبقى الإنسان حياً ، بعد أن يخترق صدره عامود طويل من الخشب الرصين . .

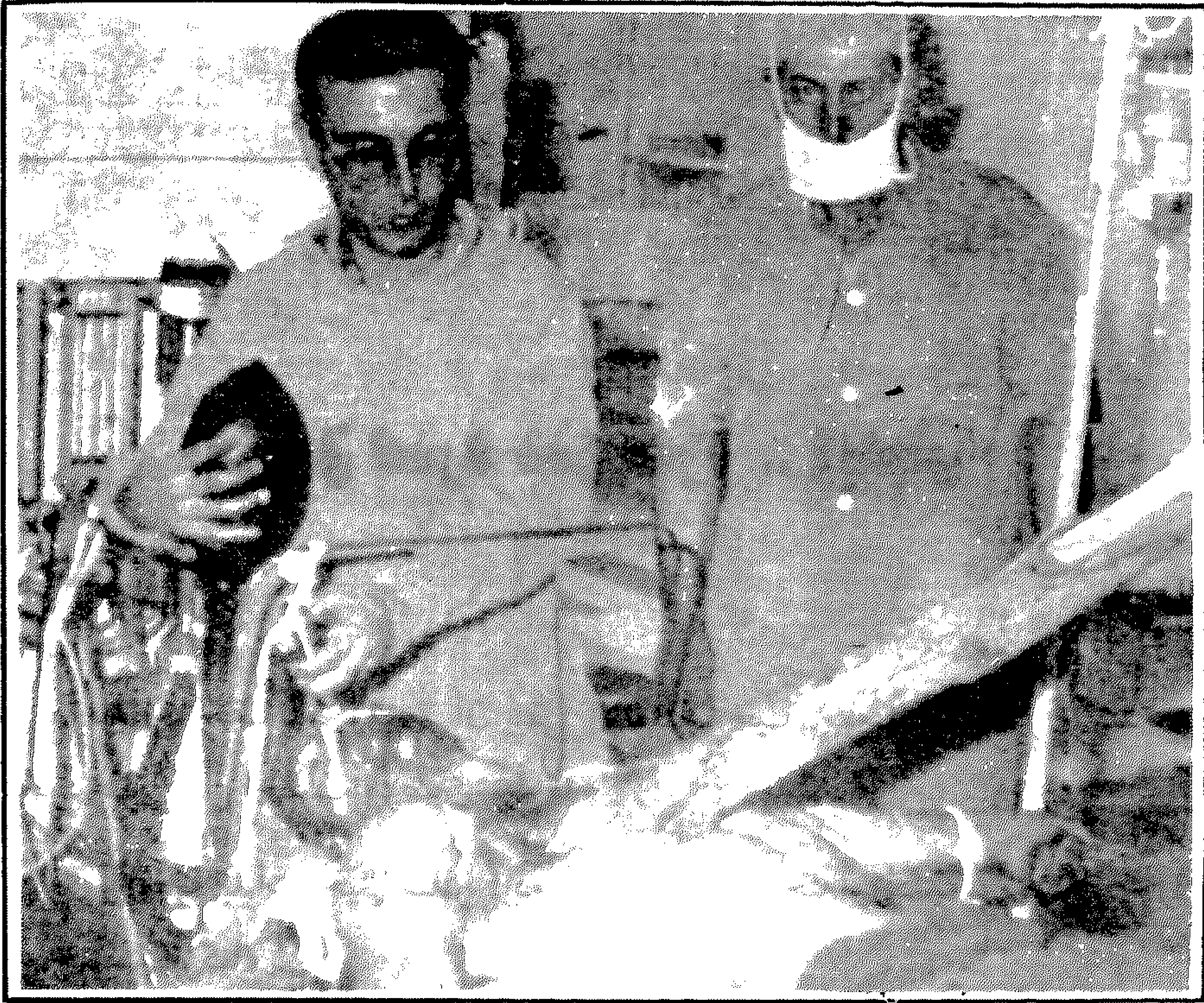
والقصة بدأت حينما سافر «آدم أجر» ـ مع زوجته وولديه ـ بسيارة أجرة إلى جنوب «تركيا» . .

وعندما حاول سائق سيارة الأجرة تجاوز السيارة التي هي أمامه . . فوجىء بسيارة شحن ، تحمل جذوع أشجار ضخمة ، محفوفة الأطراف ، ومدببة في معظمها . .

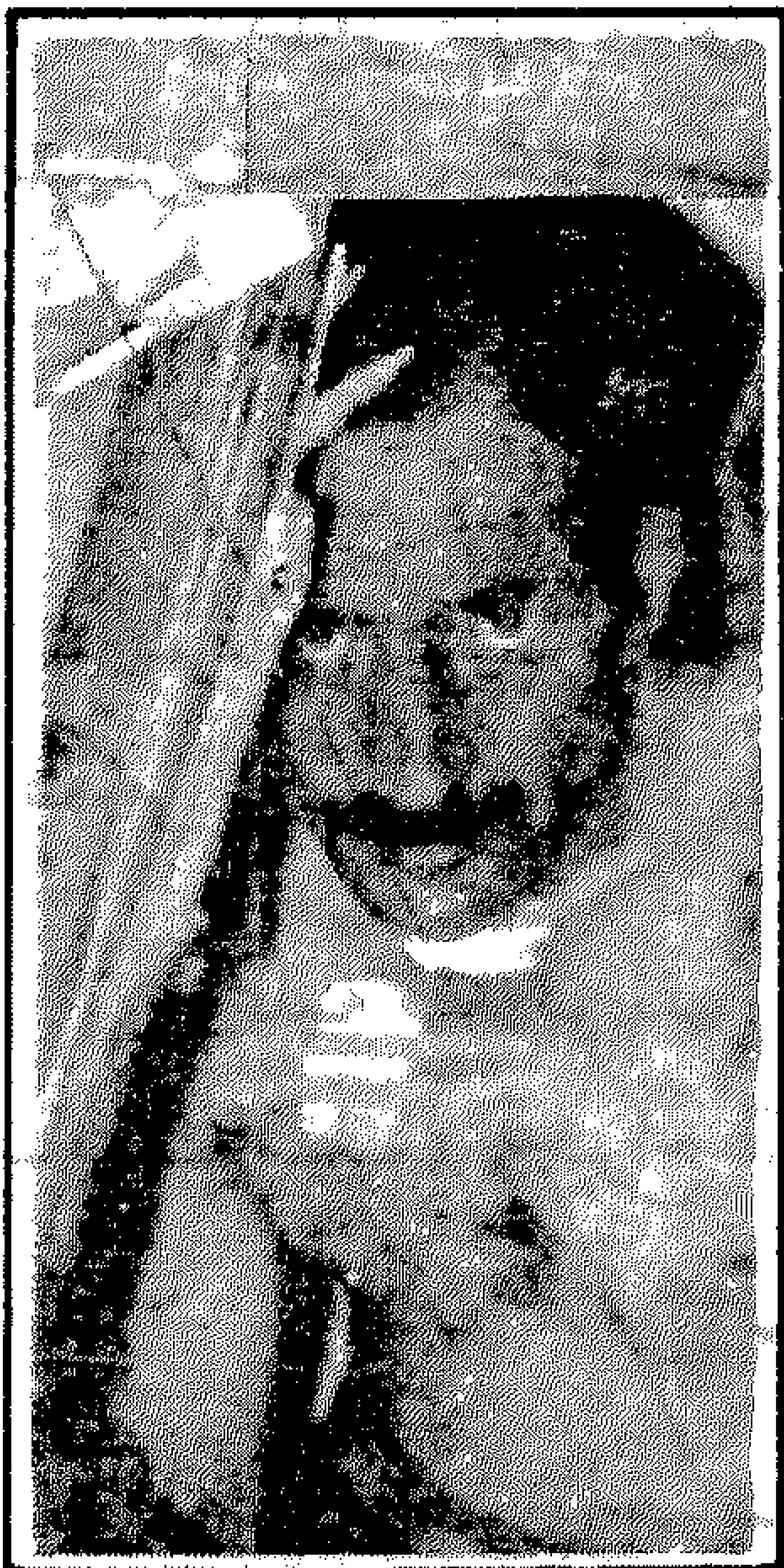
وبالطبع لم يتمكن السائق من تفادي التصادم . . وجاءت قطعة من جذع الشجرة من نصيب «آدم» فاخترقت صدره في الحال لأنه كان يجلس في المقعد الأمامي . .

وعليه فقد تم نقل «آدم» إلى المستشفى مباشرة . . وبدأ الجراح «د . ناميك سيليم» (جراح القلب) بإجراء العملية ، وكان «آدم» بين الحياة والموت . . ولكن تقرر عمل أي شيء لإنقاذه . .

وعلى الفور أجريت عملية قطع بالقصبة الهوائية لتسهيل عملية



«آدم اجر» قبل العملية ، واللوح الخشبي مخترق صدره



آدم بعد عشرة
أيام من نجاح العملية



آدم بعد العملية بين ولديه وزوجته

التنفس . . ثم قطع الجزء الأمامي من العامود الخشبي ، لتسهيل سحبها . . خاصة وأنه إخترق صدره دون التجاوز للقلب . .

وبالفعل . . نجحت العملية . . وتم إخراج العامود المدبب ، وتنظيف صدر «آدم» مع محاولة إصلاح عظام الصدر والرئة التالفة . .

ولأن العملية كانت دقيقة ، فقد استمرت خمس ساعات . . ووضع «آدم» لمدة ثلاثة أيام في غرفة العناية المركزة ، خوفاً من حدوث أعراض سلبية ، أو «غرغرينا» . .

لكن بقدرته ـ سبحانه وتعالى ـ استطاع «آدم» أن يجتاز دائرة الخطر ، ويبتعد عن حافة الموت ، ويصبح في حالة جيدة خلال عشرة أيام . . حيث استطاع الوقوف على قدميه . . وظهرت صوره وهو غير مصدق لما حدث له .

و . . . سبحان المنجي . .

برامج النوم الثلاثة ضرورية للجسم

إن الأرق المزمن ، أو العابر ، مرتبط أكثر الأحيان بالأوقات العصيبة التي يمر بها الإنسان ، لكنه متعلق أيضاً ، وإلى حد كبير ، بشخصية الفرد . .

وقد نوقشت مشكلة «الأرق» خلال مؤتمر عقد مؤخراً في تونس تم خلاله عرض أهم ما توصل إليه البحاثة من نتائج حول مشاكل الأرق وكيفية معالجتها . .

يحتاج حوالي ٢٠ إلى ٣٠ بالمئة من الفرنسيين للمصالحة مع النوم . . وكذلك ما يقارب من ١٢٠ مليون أمريكي . . فهؤلاء الأشخاص يعيشون في «كابوس» حقيقي تتخلله بعض فترات من الرقاد المضطرب ، ويجدون أنفسهم في الصباح منهكين ليس لديهم الإستعداد لبدء نهار جديد . . والكثير منهم يتعاطون «المنومات» ويزيدون الجرعات تدريجياً . .

وقد أعلنت إحدى البحاثة خلال المؤتمر الذي عقد مؤخراً في «تونس» : أن «الأرق» مرض مزعج ، قد يقود إلى ضيق تنفس مهم نسبياً . . إضافة إلى أنه مكلف للمجتمع بسبب الإفراط في تناول الأدوية . . وكذلك بسب القصور المهني . . والتغيب اللذين يرافقان الأرق المزمن . .

إذ أن الفرد المصاب به هو شخص لا ينام جيداً ، ويتذمر من هذه



« نابليون بونابرت » كان ينام ٤ ساعات فقط . .

المعاناة . . بعكس النائم قليلاً الذي يكتفي بخمس ساعات نوم ليلياً . . وأحياناً أقل إلا أن علامات الرضاء تعلو وجهه .

والتاريخ حافل بأمثلة من هذا النوع فمن «ريشيلليو» الذي كان ينام الساعة الحادية عشرة مساء ليستفيق في منتصف الليل نشيطاً ومتأهباً للعمل في

السرير . . إلى « نابوليون » الـذي كان يكتفي بـأربع سـاعات من النـوم في أثناء الليل وبعض فترات رقاد خلال النهار . .

إن أكثر ما يميز تصرف الشخص المصاب بالأرق هو التقدير السيىء لنوعية النوم لديه «فأنا لم أغلق عيني طوال الليل» في حين أنه لا يوجد أية علاقة بين ما يصفه المصاب . . وكيفية رقاده . .

فبـالإمكـان الحصـول عـلى تخـطيط سيىء وامضـاء ليلة نـوم هنيئـة . . وبالعكس ظهور تخطيط يعتبر جيـداً ، لكنه مصحـوب بعدم رضى كبـير من قبل النـائم . . هذا مـا شرحتـه الدكتـورة «أوديـل بـونـوا» «من إحـدى مستشفيـات «باريس» ، وقد أكـدت أن المصاب بـالأرق يفرط في تقـدير أهميـة وعدد فتـرات استيقاظه في الليل . .

وحسب مـدة العوارض يجب التفـريق جيداً بـين الأرق العابـر الـذي قـد يصيب كل شخص من وقت لآخر ، وبين الأرق المزمن أو المستمر . . فالأول : هو يحدد في الوقت ، وبشكل عام يدوم أقل من ثلاثـة أسابيـع . . وتجد بـالفعل دائماً سبباً محدداً له . .

فمرض «الروماتيزم» أو «قـرحة» في عـز ظهورهـا المؤلم مثلاً وذلـك عندمـا لا يكون الأرق مرتبطاً بضغط نفسي عابـر ، أو أيضاً بتغيـير مفاجىء في المحيط . . أو البيئة كتغيير التوقيت الزمني ، حدوث ضجة أو درجة حرارة غير عادية . .

أما النوع الثاني (الأرق المزمن) : فقد أوضح البحاثة خلال السنة ، حيث تظهر الإختـلالات الأولى بأن عـدد الحوادث المتعبـة قد ازداد بشكـل خاص . . يضـاف إلى ذلك شخصيـة خاصـة جـداً متميـزة بـالكبت وإخفـاء الصـراعـات النفسية . . ثم أنه لـدى اختفاء عـامل الضغط النفسي فـإن الإختلالات تصبـح أبدية . . إذ أن المريض يعتريه القلق جداً عند التفكير بأنه لن ينام . . إنها حلقة مفرغة يصحبها علاج تصاعدي للنـوم بواسـطة الكوكتيـلات الكيميائيـة المركـزة جداً . .

ويجب عدم النسيان أيضاً بأن الكحول مولدة للأرق ، لأنها إذا كانت تسهل النوم في بادىء الأمر . . فهي تسبب في ما بعد الإستيقاظ في أثناء الليل والتنظيم السيء للرقاد ، مما يؤدي إلى إلغاء الفترة البطيئة والعميقة للنوم . . وتجزىء فترة الأحلام . .

* نظام النوم :

إن التصرف الذي يجب اتخاذه أمام شخص مصاب بالأرق ، هو تكوين فكرة عن صعوباته الحالية . . وعن نظام النوم والإستيقاظ لديه قبل ظهور الإختلالات . . وبالتالي تحديد ما إذا كانت فترة النوم عنده عادية ، أو أنه من أولئك الذين ينامون كثيراً . . ويجب البحث أيضاً عن تأثير الأرق على سير حياته في النهار ، لأن العلاج لا يميل فقط إلى تحسين لياليه بل حالته في النهار أيضاً .

وأهم شيء في العلاج هو التوقف عن تعاطي المنومات ، توقف تصاعدي يصحب ذلك علاج نفسي برغم أن المريض لا يتقبله دائماً بشكل جيد . . من جهة أخرى تشدد الطبيبة «بونوا» على تلقين المريض كيفية تنظيم نومه من دون التردد بالسؤال عن أدق التفاصيل في حياته : معرفة ما يعمل في الساعات التي تسبق رقاده ، وفي الساعات التي تتبعه . . ومحاولة فهم الجو الذي ينام فيه . لكن لا توجد نصيحة واحدة يمكن إسداؤها ، وتصح لكل الحالات إذ يجب التكيف مع كل مريض . . مع نمط حياته ومع شخصيته . .

والنصيحة الوحيدة هي تخفيض الوقت الذي يمضيه المصاب بالأرق في السرير لأن حرمانه من القليل من النوم هو الوسيلة الفضلى لتنبيه حاجته إليه . . وأخيراً ، ففي جميع مختبرات النوم في العالم يستخدمون طريقة بسيطة جداً ، وهي وضع روزنامة للنوم من قبل المريض تكون له بمثابة ذاكرة تساعده على مراقبة العوامل التي تؤثر على رقاده وتبين له بأنه حتى لدى تخفيف الأدوية فإن فترات نومه هي جيدة . .

ولا بد لنا من الحديث عن أولئك الذين ينامون «واقفين» . . وبكلمة

أخرى الذي تطول عندهم فترة الرقاد ، أو يشعرون بحاجة ملحة للنوم كل النهار ، أو بعد تناول وجبة غذائية وافرة . . أو خلال محاضرة . . أو في أثناء حضور عرض فني (مسرحي . . موسيقى) . . فما العمل لدى فقدان القدرة على ضبط النعاس ؟ وفي كل الأزمنة استقطب المصابين بالأرق إهتمام أخصائيي علم النفس ، لكنهم أهملوا أولئك الذين يعانون من حاجة مفرطة للنوم . .

إن النعاس في النهار هو اختلال طفيف جداً . . فمن جهة هو لا يصيب أكثر من واحد بالمئة من الناس ، ومن جهة أخرى . . لا يخلو من عواقب وخيمة . . فقد أظهرت الدراسات الحديثة أن التغييرات في نسبة الحوادث في العمل ، أو على الطرقات مرتبطة مباشرة بتقلبات النعاس في أثناء النهار . . وقد يكون لهذا النعاس دخل في حوادث عدم التكيف ، وحتى في الرسوب المدرسي . .

لقد حلل البروفسور «جي دارجور» من مستشفى «باستور» في «نيس» الذي أخذ المسألة بشكل جدي ، الأسباب مختلفة والعلاجات لهذا الشذوذ . .

وقد ورد في مقدمة المقال الذي كتبه : «هناك العديد من الذين لا يزالون يعتبرون اليوم أن النعاس في أثناء النهار يعكس ببساطة نمط الحياة النشيطة جداً . . وحتى أيضاً إشارة لكسل ما . .

وكان يجب إنتظار التطورات الحديثة في الأبحاث عن فيزيولوجية واعتلال النعاس التي دشف النقاب عن النهار والنوم المقل . . وفي نهاية الدراسات المختلفة تبين بأن الغفوة في أثناء النهار قد تكون في العديد من الحالات نتيجة شخير ليلي .

اذن . . كيف يمكن تحديد النعاس المفرط ؟ إن العوارض شبيهة بتلك التي نشعر بها بعد سهرة طويلة ، أو ليلة نقضيها من دون رقاد مع فارق واحد وهي أنها تظهر بعد ليلة عادية طبيعية وخلال النهار وذلك بشكل مزمن . .

ويشتكي المصابون من نقص في الطاقة وصعوبات مستمرة في التركيز ، من تعب مستمر وملل وحتى من خمول يدفعهم إلى الغفوة عدة مرات في اليوم . .

هذه الحاجة غير المشروطة للنعاس تغطي في الحقيقة عدة إصابات . . ويمكن إجراء تشخيص دقيق في نطاق المعاينات المختصة بعد الإستجواب بواسطة عدة فحوصات : كقياس نشاط عضلة الجفنين . . وعدد الأخطاء المرتكبة في أثناء الإختبارات النفسية البسيطة التي يخضع لها المصاب . . أما الطريقة المتبعة حالياً من قبل الأكثرية من الفرق الطبية للقياس الموضوعي لحدة النعاس إختبار النوم المستتر ، وذلك بوضع المريض ضمن شروط مريحة وممتعة ثم يقاس الوقت الكامل للرقاد . .

وكلما كانت المهلة قصيرة كلما كان النعاس شديداً . . فعند الناس العاديين الطبيعيين هناك عوامل تغير اليقظة : نقص حاد ، أو مزمن للنوم ، تغيير التوقيت الزمني بسبب السفر والعمل . . إن الأشخاص المسنين يعانون من ميل شديد إلى النعاس . . وكذلك : أن الأدوية المهدئة تخفف اليقظة والإنتباه . .

*** حالة الخدار :**

في الواقع أن خمسين بالمئة من المعاينات الطبية التي تجري لمسألة النعاس المفرط تحصل عند الرجال الذين بلغوا الخمسين من العمر ، وتكون مرتبطة بلحظات التوقف التنفسي أثناء النوم وهو أمر شائع . . وفي الحقيقة أن« الشخير» يحصل نتيجة انسداد الأوعية التنفسية العليا مما يؤدي إلى وقف التنفس . . هذه الوقفات تحمل النائم إلى الإستيقاظ قليلاً للتنفس جيداً ثم العودة إلى النوم . . فهي إذن تنهكه ، وتؤدي إلى النعاس في أثناء النهار ، والشخير خلال الليل وأحياناً إلى آلام في الرأس ناتجة عن انخفاض ضغط الأوكسجين . .

إن العناية بأولئك المرضى ترتكز أولاً على «ريجيم» مخفف ثم علاج الأوعية التنفسية العليا ، والتوقف عن تعاطي الأدوية المنومة . . وفي حال فشل هذه التدابير يتم اللجوء إلى طرق أخرى كإخضاع انف المريض إلى ضغط إيجابي

ضعيف ، لكن مستمـر في هذه الأوعيـة بغية تخفيف انسدادها ، وتسهيـل مرور الهواء فيها . .

وهنـاك إصابـات نادرة قـد تكون سبب هـذا النعـاس الشـاذ اثنـاء النهـار وأكثرها غرابة ما هو معروف بـ Narcolpsie أي حالـة الخُدار التي تجمـع بين اشتداد النعاس بشكل مفاجىء وعابر . .

والإنهيـار العنيف للنشاط العضـلي ، أي شلل وهولـوسات في أثنـاء النوم واليقـظة . . وأن أسباب هـذا المرض الـذي اكتشف في القرن المـاضي لا تـزال مجهـولـة . . وأخيـراً . . إن بعض الانهيـارات العصبيــة تكشف عن إنخفـاض الإنتباه في أثناء النهار ، ومن الإفراط في النوم . .

من جهة أخرى . . إن هـذا الشعور الملح الـذي يعترينـا للإستلقـاء بعد الظهر والذي نعزوه إلى الكسل ، أو إلى وجبة غذاء متخمة هو في الحقيقة حـاجة طبيعية جداً . .

هذا ما يؤكده أحد أخصائيي النوم من «ألمـانيا الغـربية» فبـرأيه : أن هـذا الأمـر هو استمـرار لميل معـروف جـداً ومنتشر في عـالم الحيـوان ، إذ أن اغلبيـة الحيوانات تستسلم لفترة أو لعدة فترات من النوم يومياً ، وذلك عندما تسمح لها بيئتها بذلك . .

ومن الغريب أيضاً إنه إذا أخضع أحد الأشخاص وهو بصحة سليمـة إلى الإستلقاء والراحة لمدة ٢٢ ساعة ، فهو يغفو تقريباً كـل أربع سـاعات ممـا يجعله ينعم بثلاث فترات نوم في النهار . . أجريت هذه التجـربة في معهـد علم النفس في «ميونيخ» فأعادت إلى الظهور نظام النوم لـدى المولـود الجديـد خلال الأشهـر الأولى من حيـاته . . ويعتـرف هذا الأخصـائي الألماني أن هـذا التـواتـر اليـومي لشخص بالغ ونشيط يشكل إفراطاً حقيقياً مرضى أو نقص مهم في عدد سـاعات النوم المعتادة . .

أما الإكتشاف المهم الذي جرى خلال هذه التجربة فهو أنه من الناحية الفيزيولوجية أن جسمنا مبرمج للتنعم بثلاث فترات من النوم يومياً . .

* * *

غرائب الحيوان

* حيوان الفقمة :

يتجسس .. ويزرع الألغام ويطرب للموسيقى

لحيوان «الفقمة» أذن موسيقية ولكننا لا نستطيع رؤيتها لأنها بعكس «أسد البحر» وحيوان «القط البحري» لا يمكن رؤية أذنيها لأنهما مخفيتان وإذا ما عزفت موسيقى خصيصاً للفقمة من إحدى القوارب تراها تسبح بالقرب من القارب للإستماع . .

ويقول الخبراء أنها تفضل سماع معزوفات موسيقية مختلفة بدءاً من موسيقى «شتراوس» . . (وبالطبع موسيقى هاندل المائية) إلى موسيقى البوب . .

ويمتلك ذكر «الفقمة» مجموعة من الأناث يتراوح عددها بين أربعة إلى خمسة ولكنه نادراً ما يحاول احتكاره لنفسه ، حيث تستطيع أناث «الفقمة» الإنضمام إلى مجموعة أخرى من الحريم مع ذكرهن . .

ويستطيع بعض أنواع «الفقمة» الغوص إلى عمق يصل لألف قدم بحثاً عن الطعام ، كما يستطيع البقاء تحت الماء لأكثر من ساعة . .

وأضخم أنواع «الفقمة» نوع يسمى «فيل الفقمة» ويبلغ متوسط طوله ١٦ قدماً و ٦ بوصات ، كما يبلغ محيط خصره ١٢ قدماً ، ويصل وزنه إلى حوالي ٣ أطنان ، وأصغر أنواعه «فقمة البيكال» التي تعيش في البحيرات . . وهي



« نوع من حيوان الفقمة »

النوع الوحيد الذي يعيش في الماء العذب ويبلغ طولها حوالي ٤ أقدام ونصف القدم . .

وتحب أطفال «الفقمة» أن تقفز فوق ظهر أمها ، ويقول البعض أن ذكر «الفقمة» يزرف بعض الدموع في المواقف الصعبة ، كما أنه يمخط أنفه بواسطة ظهر زعنفته التي تشبه اليد ، ولا تلد أنثى «الفقمة» في البحر أبداً ، ولا بد من ذلك فانها تسحب نفسها باتجاه الشاطىء أو الصخور لتضع صغارها هناك حيث يكونون عرضة للإفتراس من قبل الحيوانات الأخرى إلا أن صغار «الفقمة» ينمون بسرعة ويصبحون مستقلين بأنفسهم . .

ومن المدهش حقاً أن أنثى «الفقمة» تحمل جنيناً إحتياطياً ـ فإذا ما حدث أي شيء لأحد أطفالها ، فإن هذا الجنين الإحتياطي يتطور ليحل محله . .

وهنـاك أكثر من ٢٤ نـوعاً من «الفقمـة» ولا يجب الخلط بينها وبـين أسود البحـر ذات الأقـدام الـزعنفيـة أو عجـول البحـر ذات الفـرو أو حيـوان «القط البحري» .

وقد تم تدريب بعض أنواع الفقمات بـواسطة سـلاح البحريـة الأمريكي للتعـاون مع الغـواصات في زرع الألغـام وتوجيـه الـطوربيـدات البحـريـة عـلى الأهـداف في العمليات التي تجـري في أعماق البحـر والتجسس على الغـواصات المعادية . .

والمعروف أن حليب « الفقمة » الأم مغذٍ جداً ، إذ تبلغ نسبة الدسم فيـه ٥٠ في المـائة ، ويستـطيع صغـير « الفقمة » أن يحصـل على مـا مقداره (٢,٥) باوند من الحليب يومياً . .

وتستعمل الأذرع الأماميـة للفقمة للتجـديف فقط ، وتستطيـع «الفقمـة» الحصـول على قـوة دفعها في المـاء بواسـطة رفس أطـرافهـا الخلفيـة ، ونـادراً مـا تستعمل أعضاءها عندما تكون على البر . . وتستطيع الصعود من الماء بحـركات متثاقلة على شكل قفزات قصيرة . .

ويتراوح عمر «الفقمة بين» ٢٠ ـ ٤٥ سنـة . . وأكثر الأنـواع المعمرة منـه «الفقمة» ذات اللون الرمادي ، أما أقصر المعمـرين فهو «فيـل الفقمة» . . وقـد تم حماية حيوان «الفقمة» من خطر الصيد في «بريطانيا» بواسـطة تشريـع أصدره البرلمان البريطاني . .

* * *

هل تعلم

□ أن الملك فرانز جوزف الأول امبراطور النمسا وملك هنغاريا حكم من سنة ١٨٤٨ - ١٩١٦ . وهي أطول مدة حكمها ملك وهي ٦٨ عاماً ؟!.

□ وأن الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا». تربعت على العرش البريطاني مدة ٦٤ عاماً ؟!

□ وأن النساء في جزيرة دومينيكا يتكلمن لغة تختلف عن تلك التي يتكلمها الرجال!

□ وأن جسر رونـدا الإسباني بناه المهندس الديهويلا ، وكان أول رجل يسقط من فوقه ليلاقي حتفه ؟!.

□ وأنه ليس للعصفور أية حاسة ذوق أو شم ؟!

□ وأن العالم الفلكي البريطاني الشهير وليام ليللي عاش بين سنة ١٦٠٢ و ١٦٨١ م اعتبر كقارىء بخت رسمي في الجيش البريطاني ، وذلك لتحسين معنويات الجنود بتنبؤات عن النصر ؟!.

□ وأن قلعة الكهف في سلوفينيا بيوغوسلافيا ، هي قلعة بنتها أسرة كوبنزل سنة ١٥٧٠ ، وهي تقع فوق كهف كبير على سفح جرف جبلي يعلو ٤٢٦ قدماً ، وهي اليوم تحف عالمي للحرب العالمية الثانية ؟!.

□ وأن أول مغطس مبطن بالمعدن صنعه آدم طومسون ، من مدينة سنسيناتي بولاية أوهايو الأميركية سنة ١٨٤٠ وناهز وزنه الطن ؟!.

□ وأن ١٢٠ شخصاً من سلالة الموسيقي الشهير يوهان سيستيان باخ كانوا عازفين على الأرغن في الكنائس والكاتدرائيات .

□ وأنه تم اكتشاف هيكل عظمي لرضيع تحت شجرة عنب في مدينة (كافناك) الفرنسية ، يعود تاريخ ميلاده حسب قول الخبراء إلى ألف ومئة سنة قبل الميلاد ، أي إلى ما يسمى بالعصر البرونزي .

وهذا الاكتشاف يطرح حالياً لغزاً محيراً أمام علماء الآثار ، لأن الرأي السائد حتى الآن يؤكد أن الجثث في العصر البرونزي ، كانت عادة تحرق ويوضع رمادها في مرمدة خاصة ؟!

□ وأن الرسام الإيطالي «برودينون» الذي عاش من عام ١٤٨٤ وحتى عام ١٥٤٠ كان من أشهر رسامي زمانه ، وكان مصاباً بمرض الغيرة القاتلة من منافسيه في فن الرسم . لدرجة أن هذا الرسام الشهير لم يكن ليبعد السيف من وسطه ، كي يكون جاهزاً باستمرار للمبارزة ، وأنه عندما كان يرسم ، كان يعلق خنجراً في موخرة ريشته كي يكون أيضاً على استعداد لطعن منافسيه ، خاصة إذا ما استرق أحدهم النظر إلى ما يرسمه . والغريب في أمر هذا الرسام أنه مات مسموماً .

□ أن أول من خط بالقلم هو النبي إدريس عليه السلام ، وهو أول من خاط الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود .

□ إن النحلة تقطع ما يزيد عن مليون و ٤٠٠ ألف كيلو متر لجمع ما يكفي لتكوين كيلو غرام من العسل من رحيق الأزهار بسرعة متوسطة تبلغ ١١ كيلو متراً في الساعة .

□ أن نهر النيل هو أطول أنهار العالم إذ يبلغ طوله ٦٦٤٨ كلم .

□ أن أول من بدأ عادة الاحتفال بأعياد ميلاد الأشخاص هم الإغريق .

□ أن جسم الإنسان يطلق في كل ساعة حرارة تكفي لغلي لتر من الماء .

□ أن العلماء أرادوا اختراع مخ آلي يشبه مخ الإنسان فوجدوا أنه يلزمهم ٢٠ طن حديد .

☑ وأنهم أرادوا أن يخترعوا معملاً لصنع الدم شبيه بمعدة الإنسان ، فوجدوا أنه يلزمهم مساحة لا تقل عن ٤ كلم مربعاً .

□ وإن المؤلفة الانكليزية الشهيرة أجاثا كريستي لم تكن تحب القراءة ومطالعة المجلات والقصص عندما كانت صغيرة . بالرغم من المحاولات العديدة والإغراءات التي كان يبذلها والدها المحامي لتنمية هذه الرغبة لديها .

□ وأنها تركت المدرسة وانتسبت إلى معهد تعليم الموسيقى قبل أن تتزوج من العقيد (ارشيبو لدكريستي) . لكنها لم تلبث أن انفصلت عنه للتزوج للمرة الثانية من عالم الآثار الشهير ماكس مالون الذي اصطحبها معه في رحلاته إلى الشرق الأوسط حيث سحرها الشرق وبدأت تكتب أولى قصصها البوليسية .

□ وان إحدى مقاطعة وادينا في الولايات المتحدة الأميركية وتدعى كريستين نوربي قد عاشت ١٠٣ سنوات ، ولم تذهب إلى الطبيب إلا مرة واحدة عندما كان عمرها ٥٠ عاماً . والسبب كسر في معصمها .

□ وان الإيطالي فرنشيسكو بازولي قد عاش ١١٤ عاماً من عام (١٥٨٧ ـ ١٧٠٢) ولم يمرض ولم يزر الطبيب أبداً ، وقد رزق بأربعة أطفال من زوجته الخامسة التي تزوجها عند بلوغه ٩٨ عاماً

□ أن الممرضة الأميركية (جين آدامز) قد فازت بأسوأ رهان أقيم بينها وبين زميلاتها اللواتي ظنن أنه رهان للتسلية ، لكن الرهان الذي تم في إحدى مستشفيات لوس انجلوس ، كان يدور حول من يموت أولاً من المرضى التي تعتبر حالاتهم ميؤوساً منها . وقد اكتشفت الشرطة أن الممرضة المذكورة كانت تعمل على إنهاء حياة مرضاها بمساعدة عشيقها كي تكسب الرهان . وفعلاً فقد بلغ عدد ضحاياها ستة أشخاص .

□ وأن النقيب الاسكوتلندي (جوزف هاي) وهو من مدينة (تدنبرغ) ، هو الرجل الوحيد الذي كان يرتدي برقعاً طويلاً يغطي وجهه كله طيلة أيام حياته . خاصة إذا ما

رغب في السير في الشوارع أو حضور الحفلات والمهرجانات ، والسبب في ارتدائه البرقع لم يكن لتشويه أو بشاعة في وجهه ، بل لأنه كان ينظر إلى النساء بوقاحة شديدة مما يسبب له المشاكل الكثيرة ومع البرقع الذي يرتديه كان يمتع نظره من دون مشاكل .

□ وأن بعض عادات قدماء الصينيين ، أنهم إذا رأوا شخصاً مدمناً على ارتكاب المعاصي كالجرائم الأخلاقية ، وقطع الطريق ، ولعب القمار ، والإدمان على الخمور ، وان لا رجاء في إصلاحه ، أو حتى إذا كان مصاباً بمرض عضال ولا أمل في شفائه ، ويخافون من انتشاره ، فإنهم يقومون بدفنه حياً كي يستريحوا من آثامه أو مرضه .

□ وأن سكان مقاطعة (انبونيو) في ماليزيا يضعون موتاهم فوق الأشجار العالية .

والسبب في ذلك أنهم يعتقدون أن فترة مرور الإنسان على الأرض وفترة حياته تقدر بمئة سنة ، لذلك فهم لا يدفنون أحداً قبل مرور مئة سنة من حياته على الأرض .

□ وأن موظفاً في مشغل للمعاقين في إحدى مدن فرنسا ، اكتشف كنزاً من المجوهرات بلغت قيمته مليون فرنك فرنسي كان مخبأ في جهاز الهاتف ، وهذا الكنز الصغير هو من الماس والذهب والبلاتين ، لكن أصحابه لم يعلنوا عنه حتى الآن ، أما المشغل فهو يقوم بإصلاح ثلاثة إلى أربعة آلاف جهاز هاتف شهرياً من دون أن يعرف أصحابها .

□ أن في هذا الكون غاز مضحك وغاز مبكي . فالغاز المبكي هو الذي يستعمله الجنود لتفريق المظاهرات والمشاغبات ، أما الغاز المضحك فهو الذي يعرف بغاز (أوكسيد النيتروز) والذي اكتشفه (بريستلي) عام ١٧٧٢ م . وهو غاز عديم اللون ، وله رائحة مقبولة وطعم حلو خفيف ، واستنشاقه له تأثير مخدر ، وإذا استمر استنشاقه مدة طويلة ، فقد يسبب الموت ، بينما إذا استنشق بكميات صغيرة فإنه يسبب ضحكاً هستيرياً ، ولهذا يسمى الغاز المضحك .

□ أن سرعة الضوء تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متراً في الثانية .

وأن معدل السرعة التي اكتشفها الإنسان تتفاوت إلى درجات مختلفة . وقد تطورت السرعات التي توصل إليها الانسان نتيجة اختراعاته واستحداثاته كالجدول التالي :

☑ أن النغمات الموسيقية التي يصدرها الساحر الهندي إلى الأفاعي أشياء وهمية ليس لها صحة ، فالثعابين صماء لا تسمع ، وما تمايل الثعبان إلا ايماء عندما يتمايل الساحر الهندي .

☑ إن حيوان اللاما المتواجد بكثرة في أميركا الجنوبية له قدرة جيدة على البصق وإصابة الهدف بدقة يحسد عليها . وهذا ما يؤكده زوار حدائق الحيوانات والذين يعاكسون هذا الحيوان ، لذا نراهم يتعرضون لبصقاته عندما يزعجونه .

☐ إن كثيراً من الناس يعتقدون أن كل شيء أحمر يهيج الثور ويجعله يستشيط غضباً ، فيسارع بالفتك والهجوم . ولكن علماء البيولوجيا طعنوا هذه النظرية ، فلقد اثبتوا أن الثيران لا تستطيع أن تميز بين اللون الأحمر والأبيض والألوان الأخرى ، حتى قالوا انها مصابة بعمى الألوان ، ففي بعض التجارب استعمل المصارع الشال الأبيض فكان رد الفعل عند الثيران مماثلاً تماماً .

☑ إن الملك ريتشارد الثالث ، والملك لويس الرابع عشر قد ولدا وفي فمهما أسنان . وأن الأخير ابدلوا له مرضعات سبع لأنه كان ينهش صدورهن فلا يتمكنّ من متابعة ارضاعه .

● أضخم ○

☐ أن أضخم كائن يعيش على الأرض هو الحوت ، والواقع أنه أضخم كائن عاش على مر العصور أيضاً . ويمكن أن يصل طوله إلى طول ٧ سيارات متوسطة أي حوالي ٣٣ متراً ، كذلك يبلغ وزن هذا الحوت ١٥٠,٠٠٠ كلغ أي بمعدل ٢٨ فيلاً .

☑ أن أضخم آكلات اللحوم الدب القطبي حيث يصل وزنه نحو ١٠٠٠ كلغ ويزيد طوله على ٤ أمتار .

□ أن أضخم طيور اليابسة هي النعامة ، حيث يصل ارتفاعها ٢,٧ م ويصل وزنها إلى ١٥٠ كلغ .

□ أن أضخم الزواحف التي تعيش في أيامنا هو تمساح الأنهار ، فلقد يبلغ طوله ٤،٥ م ويزيد وزنه على ٢٠٠٠ كلغ . وفي عام ١٨٢٣ قُتِل أحد هذه التماسيح ويومها جاوز طوله الحد المألوف فلقد بلغ ٨ أمتار .

□ أن أضخم السحالي هو وحش كومودو الذي يبلغ طوله ٣ أمتار ويزن ١٥٠ كلغ .

□ أن أضخم السلاحف المائية هي السلحفاة الجلدية الظهر حيث يصل طولها إلى ٢,١٠ م وعرضها ٢ م عند الزعانف الأمامية وتزن ٣٦٠ كلغ . وقد صيدت في كاليفورنيا واحدة من هذا النوع بلغ وزنها ٨٥٨ كلغ .

□ إن أضخم السلاحف الأرضية سي السلحفاة التي عثر عليها عام ١٨٤٧ في المحيط الهندي في جزيرة (الدابرا) وكانت تزن ٤٠٥ كلغ .

□ أن أضخم البرمائيات هو السلمندر الصيني العملاق الذي يبلغ متوسط طوله ١ م ويصل وزنه إلى ١٣ كلغ . وقد تم صيد أحد هذه البرمائيات في الصين عام ١٩٣٨ وقد بلغ طوله ١,٥ م .

□ أن أضخم الضفادع هي انثى ضفدعة (جوليات) في غرب افريقيا وقد بلغ طولها ٨١,٥ سم ووزنها ٣,٣٠ كلغ .

□ أن أضخم العلاجيم هو العلجوم البحري في أمريكا الجنوبية ، ففي عام ١٩٦٥ صيدت إحدى إناثه وبلغ طولها ٢٣,٨ سم وكان وزنها ١,٣ كلغ .

□ أن أضخم الحشرات هي خنفساء جوليبت من افريقيا الاستوائية حيث يبلغ طولها ١,٥٢ م ، ويصل وزنها ١ ك .

● أطول ○

□ أن أطول الطيور عمراً هي البومة العقابة حيث تعيش ٦٨ عاماً .

□ أن أطول الطيور عمراً من

الطيور البرية هي نورس الرنجة حيث تعيش ٣٢ عاماً .

□ أن أطول مدة للبقاء تحت سطح الماء هي لطائر البنجوين الأديليل حيث يمكنه أن يظل تحته لمدة تتراوح بين ثلاث وخمس دقائق .

□ أن أطول مدة للبقاء في الهواء هي لطائر العوار حيث يقضي معظم وقته في الهواء . وحتى أثناء موسم إقامة عشه ، فهو يمضي نصف وقته طائراً ، كذلك فهو ينام في أثناء طيرانه ، ومنذ اللحظة التي يتعلم فيها هذا الطائر الطيران قد لا يهبط إلى ألارض إطلاقاً إلا عندما يبدأ في بناء عشه .

□ أن أطول امتداد بين طرفي جناحي طائر هو طائر لقلق «مارا بوفيا» حيث يبلغ اثني عشر قدماً أي ٣,٧ م .

□ إن أطول رحلة هجرة هي التي يقوم بها (المرشو) القطبي من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي والعودة كل عام قاطعاً مسافة ٣٤٤٠٠ كلم .

□ إن أطول الثعابين هو ثعبان (الأنا كوندا) في أميركا الجنوبية ، حيث يبلغ طوله ٦ أمتار .

□ إن أطول الحشرات عمراً هي ملكات النمل الأبيض حيث تعيش لمدة ٥٠ عاماً .

□ إن أطول الحشرات هي حشرة العصي العملاقة ، إذ يبلغ طولها عندما تكون أرجلها ممتدة ٠,٥٠٨ م .

□ إن أطول الأشجار هي شجرة الخشب الأحمر الذي تنمو في ساحل كاليفورنيا حيث يبلغ طولها ١١١ م .

● أكبر ○

□ إن أكبر البيض حجماً هو بيض النعامة ، حيث يبلغ طول الواحدة منها ٢٠,٣ سم وتزن أكثر من ١٤ كلغ .

□ إن أكبر الأعماق التي تصل إليها الطيور هو عمق ٧٣ متراً ويصل إليه طائر آكل السمك .

□ إن أكبر خفقات الأجنحة في الطيور عدداً هي لطائر القطقاط الذهبي حيث يقطع مسافة ٣٢١٨ كلم في هجرته في ٣٥ ساعة ، ويخفق جناحاه مرتين في الثانية ، فمعنى هذا أنه يقوم أثناء رحلته أداء ٢٥٢,٠٠٠ خفقة جناح .

□ إن أكبر حيوان سجن في بطن ثعبان هو (تيتل امبالا) ويزن ٥٨ كلغ وقد عثر عليه في بطن بيثون الصخور الافريقي الذي يبلغ طوله ٥ م عام ١٩٥٥ . ولم يكن وزن الثعبان أكبر كثيراً من وزن فريسته .

□ أن أكبر عدد من البيض هو الذي تضعه بعض العلاجيم ، فقد وضعت أنثى علجوم (وود هاوس) في أمريكا الشمالية رقماً قياسياً في البيض وهو ٢٥٦٥٠ بيضة ، وكان ثاني رقم بعده هو ٢٤٠٠٠ بيضة وضعها أنثى علجوم الفهد في افريقيا .

□ إن أكبر ذبابة هي الذبابة السارقة من جنوبي أمريكا ، حيث يبلغ جسمها ٦٤ مم .

□ إن أكبر حشرة من نوع أبي دقيق هي أبو دقيق جناح الطائر الأبيض من جزر سولومون في المحيط الهادي ، حيث يبلغ جناحاه ٣,٥ م .

□ إن أكبر فراشة هي فراشة امبراطور هيرقل من غينيا الجديدة وأستراليا ، ويبلغ طولها ٢,٥٠ م .

□ إن أكبر سرب جراد شوهد عام ١٨٨٩ وقد غطى مساحة ٥٠٠٠ كلم٢ . وقد اجتاز البحر الأحمر ، وقُدِّر يومها وزن السرب بنحو ٥,٠٠٠,٠٠٠ طن ، كما قُدِّر عدد هذا السرب بنحو ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠ جرادة .

□ إن أكبر عش للنمل الأبيض يوجد في استراليا ، حيث بلغ ارتفاعه ٦ أمتار ، وقطر قاعدته ٣٠ متراً والغريب في أمر هذا النمل أنه أحياناً يبني عشه على ارتفاع ٩ أمتار .

□ إن أكبر خفقات للأجنحة في الحشرات هي لنحل العسل حيث تتذبذب أجنحة النحل بمقدار ٢٥٠ مرة في الثانية . تليها الذبابة إذ ترفرف بضرب أجنحتها من ١٠٠ - ٢٠٠ ضربة في الثانية .

□ إن أكبر الأشجار سماكة هي شجرة السرو الضخمة التي توجد في المكسيك حيث يبلغ قطرها ١١ متراً ، ويزيد محيط جذعها أحياناً على ٣٤ متراً .

● أصغر ○

□ إن أصغر آكلات اللحوم هو حيوان ابن عرس الذي يبلغ طوله ٣٥ سم .

□ إن أصغر طيور السماء هو طائر النحل الطنان حيث لا يزيد طوله على ٥,٧ سم ولا يزيد وزنه على ١٠٠ غراماً .

□ إن أصغر الزواحف هو (برص) دقيق يوجد في إحدى جزر فرجين في الهند الغربية ، حيث يبلغ طوله ١٨ ملم وله ذنب في مثل هذا الطول .

□ إن أصغر البرمائيات هي ضفدعة السهم المسموم التي تعيش في كوبا ، حيث يصل طول اكبرها من ٨,٥ - ١٢,٤ ملم .

□ إن أصغر فراشة تعيش في بريطانيا يبلغ طولها ٢ ملم ويبلغ امتداد أجنحتها ٣ ملم .

□ إن أصغر نحلة تعيش في سيلان يبلغ طولها ٨ ملم .

● أقصى ○

□ إن أقصى سرعة للطيران هي لطائر (العوار) شائك الذيل حيث تقدر سرعته بأكثر من ١٦١ كلم في الساعة .

□ إن أقصى سرعة لطائر الميارج هي لطائر الباز الجوال ، حيث تصل سرعته إلى ٢٦٠ كلم عندما ينقض متجهاً نحو فريسته .

□ أن أقصى سرعة على اليابسة هي للنعامة حيث تصل إلى ٦٠ كلم في الساعة .

□ أن أقصى سرعة تحت الماء هي لطائر البنجوين الجنتو حيث يمكن أن يغوص تحت الماء بسرعة ٣٥ كلم في الساعة .

□ إن أقصى ارتفاع للطيران هو للأوز المصري حيث يطير على ارتفاع ١٠٦٦٨ متراً .

□ أن أقصى سرعة لخفقان الأجنحة هي للطائر الطنان حيث تبلغ ٢٠٠ خفقة في الثانية عندما يرفرف أمام الزهور .

□ أن أقوى سم في الثعابين يمتلكه ثعبان النمر في جنوبي استراليا وهو يكفي لقتل ١١٨ من الخراف ، وقد وجدوا واحداً من هذه الثعابين

يحمل ما يكفي (٤٠٠٠٠٠ من الأوقية) فقط من هذا السم لقتل الإنسان .

□ إن أقوى أنواع النمل وأخطرها بالنسبة للانسان هو نمل البولد وج الأسود في استراليا ، فهو يعض ويلدغ في نفس الوقت ، وقد عُرف عنه أنه يتسبب في موت الانسان .

□ وإن أقدم الزواحف المعروفة كانت تعيش في (نوفاسكوشيا) في كندا منذ ٣٠٠ مليون سنة مضت .

□ وإن أقدم البرمائيات هو ما يعرف باسم «اكثيوستيجا» وكان يعيش في جرنيلاند منذ ما يزيد على ٣٠٠ مليون سنة مضت .

□ وإن أندر الطيور هو طائر الدساكر الضجاج الأوسترالي الذي كان يظن أنه انقرض ولكنه اكتشف عام ١٩٦١ مرة ثانية .

□ وأن الثعلب يقوم أحياناً بحركات وقفزات مجنونة تلفت أنظار بعض الطيور والأرانب وتثير عندها الفضول لمراقبة ما يجري . وعند ذلك ينتهز الثعلب المخادع الفرصة ويسارع بالقبض على واحد منها . وعندما تقوم الثعالب بهذه الحركات البهلوانية يقال أنها تسحر فريستها .

□ وأن الظربان تصدر رائحة كريهة عند شعورها بالخطر وذلك لينفر منها العدو ، وهذه الرائحة توجد في سائل تفرزه غدد شرجية تفتح أسفل الذيل ، وإذا تلوثت الملابس بهذا السائل فإن الرائحة تبقى فيها فترة طويلة قبل زوالها .

□ وإن النمس يقتل الثعابين حتى السامة منها مثل الكوبرا ، وأحياناً يقتل الثعابين النمس . ولكن لسرعة حركة النمس وخفته فإنه يتغلب على الثعبان إذ يتمكن من عضه خلف الرأس قبل أن يضرب ضربته .

□ وإن غراب الذاغ يختلس الخواتم وقطع العملة وقطع المعدن أو الزجاج ويحملها بعيداً ويخبئها ، وهو ينبهر بالأشياء البراقة وينجذب إليها ولا يوجد تفسير لذلك .

□ وإن الغراب أبو زريق يدفن ثمار البلوط ، وعندما يأتي الشتاء سرعان ما يبحث عنها ويجدها ، وله المقدرة الفائقة على الاتجاه مباشرة إلى حيث توجد الثمرة المدفونة . وللآن

لم يعرف العلماء كيف يعرف الغراب أين توجد الثمرة .

□ وإن دجاجة (مالي) الاسترالية تعمل كومة كبيرة من أوراق الشجر الجافة ، وتكون هذه الكومة بمثابة حضانة للبيض ، ويستخدم الذكر لسانه كترمومتر لقياس درجة حرارة العش ، فإذا كان بارداً أكثر من اللازم أضاف إليه أوراقاً أخرى لتدفئته .

□ إن أنثى الهدهد تهب واقفة ثم تجري بعيداً عن العش الذي يظل في مأمن ، حتى إذا اقترب العدو منه ، وهي لا تجري بسرعة وإنما تبؤدة تجر أحد جناحيها كما لو كان مكسوراً ، وهكذا يظن العدو أنها مصابة فيتبعها ، وما تلبث أن تطير فجأة .

□ وإن النسور لا تقوى على تحطيم قشرة النعامة بمنقارها ، ولذلك يقوم النسر المصري بإلقاء حجر على البيضة لكي يحطم قشرتها ، وبهذا يتمكن من التهام محتوياتها ، وتلك النوارس في ذلك سلوكاً مشابهاً فهي تتغذى بالمحار الذي تجد على الشاطىء عند انحسار المد ، ولكن للمحارة صدفة صلبة ، ولذلك ترتفع النوارس بالصدفة إلى أعلى ثم تسقطها على الصخور فتتحطم الصدفة .

□ وإن طائر الصخاب (الباتروس) يمكنه أن ينزلق في الهواء عبر آلاف الأميال دون أن يضرب بالجناح ضربة واحدة ، ولهذا الطائر جناحان طويلان جداً ، وهو يعيش فوق المحيطات مستخدماً تيارات الهواء المرتفعة الأمواج لكي يعلو بنفسه ، ويظل محمولاً في الهواء .

□ وإن السحلية ذات القرون في أمريكا الشمالية لا تزال أحد الألغاز في دنيا الزواحف ، فهي تذرف دماً من عينيها عند القبض عليها أحياناً ، ولا يعرف أحداً لماذا ، ولكن ربما كان ذلك أحد الوسائل الدفاعية .

□ وإن ذكر السلاحف يغازل أنثاه بنطحها وعض أرجلها .

□ وأن ذكر الثعابين يغازل أنثاه بمسح رأسه في أنثاه .

□ وإن ذكور السحالي عندما تغازل أنثاها فتستعرض ألوانها الزاهية أمامها كما تتمايل في نفس

الوقت إلى أعلى وإلى أسفل مستخدمة رؤوسها وارجلها .

□ وإن ثعبان العشب الأوروبي يدعي الموت عند شعوره بالخطر فيستلقي على ظهره ويفتح فمه ويخرج لسانه .

□ وإن ذكور الثعابين تتعارك . فيلفان جسميهما حول الآخر أثناء العراك ، وهو بمثابة اختبار للقوة ، فينسحب الأضعف مدحوراً ، وتعرف هذه العملية برقصة الثعبان .

□ وإن ذكر (النيوت) من أشهر البرمائيات عندما يداعب أنثاه فإنه يرش عليها الماء بذنبه .

□ وإن الضفادع التي تعيش في صحاري استراليا تملأ مثانتها إلى أقصى درجة بالماء عندما تمطر السماء ، ثم تدفن نفسها في الرمال وتبقى هناك إلى أن تمطر السماء ، ثم تدفن نفسها في الرمال وتبقى إلى أن تمطر السماء مرة أخرى ، ويعرف سكان استراليا الأصليون ذلك ، إذ عندما يصيبهم الظمأ فإنهم يحفرون في الرمال بحثاً عن إحدى هذه الضفادع ثم يعصرونها للحصول على جرعة ماء ، لذا تسمى هذه الضفدعة «حاملة الماء » .

□ وإن الفرنسي جان كونتاسو كان أعمى ، ومع ذلك فإنه قضى مدة ثلاثين سنة بتمامها يقود السياح عبر منطقة إقليم أوشون الفرنسي .

□ وإن راي مالنكي من غايلورد بولاية متشيغان الأميركية ، تخرّج في مدرسة غايلورد العليا وهو في السن السادسة والستين والغريب في الأمر أنه عمل في مجلس إدارة المدرسة مدة ست سنوات منها سنتان كرئيس لها .

□ وإن الطفل هنري تمبل عين رئيساً للكتبة في خزينة ايرلندا عام ١٦٧٣ براتب قدره ١٠ آلاف دولار وهو لا يزال في سن السابعة من عمره ، وظل يشغل هذا المنصب طوال حياته إلى أن توفي عام ١٧٥٧ .

□ وإن الكابتن هنري ايبلي من مدينة كاونسل بلافس ، بولاية ايووي الأميركية ولد بدون أسنان ، وهذا أمر عادي جداً فالأطفال عادة تولد بلا أسنان ، لكن لم تنبت له أسنان طوال حياته .

□ وإن الأميركي هنري لويس كان يلعب البلياردو بأنفه ، وقد ضرب الرقم القياسي في إحدى المباريات ، فلقد سجل ٤٦ نقطة دفعة واحدة .

□ وإن توم ماك أوليف من سكان مدينة باقالو الأميركية حاز على لقب بطل لعبة الغولف بالرغم من أنه لم يكن له يدان ، فقد كان يمارس هذه اللعبة بفمه بدل يديه .

□ وإن النمساوي هاينريش نوسته كان بوسعه أن يعزف بلسانه على البيانو ويقدم عزفاً رائعاً أخاذاً .

□ وإن الصيني شنع من سكان كانتون ضرب الرقم القياسي في التقاط الراغيب ، فقد التقط في مباراة رسمية أقيمت سنة ١٩٢٨ وفي مدة أربع ساعات فقط ٢١ ألف برغوت .

□ وإن وليام لي من سكان تكساس كان يملك جسداً مطاطياً ، فلقد كان يطوي جسمه على هواه حتى سن السابعة والستين من عمره .

□ وإن حزقيال ايدر ظل طوال عمره يسمع من فمه ، فلقد ولد بدون أذنين ، ومع ذلك فقد كان مرهف السمع كالخلد تماماً . فكان يفتح فمه كلما أراد الإصغاء إلى حديث ما ، وقد توفي في نيويورك عام ١٨٨٤ .

□ وإن الإنكليزي دجون كارتر من سكان مدينة كوغرهول كان مصاباً بشلل كامل من تحت عنقه . ومع ذلك اشتهر في عالم الرسم وأصبح عظيماً ، فكان يرسم وهو ممسك بالفرشاة بين أسنانه .

□ وإن الانكليزي دجيمس لانفير من سكان مدينة ادنبورو ، ضرب عام ١٩٢٧ رقماً قياسياً في العطس ، فلقد عطس ستمائة عطسة دفعة واحدة .

□ وإن الكولونيل جنو أ. ولسون من مدينة بوديل في ولاية تكساس بلغ الرابعة والتسعين من عمره ، وظل محتفظاً بكل أسنانه ، وهو لم يستعمل أي فرشاة أسنان في حياته ، ولم يزر قط طبيباً للأسنان .

□ وإن الدكتور ماربانو غالفيز (١٧٩٤ ـ ١٨٣٨) الذي أصبح

رئيساً لجمهورية غواتيمالا سنة ١٨٣١ كان طفلاً لقيطاً وجد على أحد أبواب بيوت الأيتام .

□ وإن الدكتور بنيامين كتريدج (١٧٤٠ ـ ١٨٢٦) من مدينة تيوكنزبري في ولاية مساتشوستس الأميركية ، كان أباً لثمانية أولاد نجباء أصبحوا جميعاً أطباء .

□ وإن الدكتور فريدريك نورد (١٧٥٩ ـ ١٨٢٢) من مدينة كورنوول بولاية فيرمونت الأميركية ، كان والداً لإثنين وعشرين ولداً ، توفي واحد وعشرون منهم وهم في سن الطفولة فاستحق لقب (أبو المأساة) .

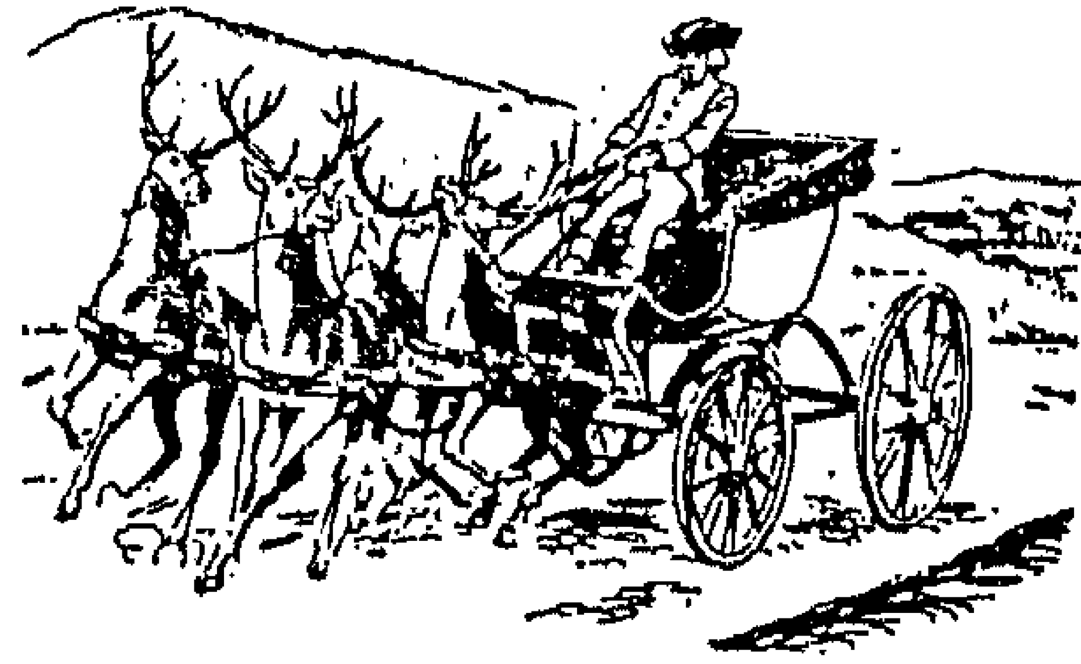
□ وإن الحكومة الفرنسية أصدرت في ١٣ شباط ١٨٣٠ حكماً بمعاقبة مبنى دار الأوبرا الفخم . ذلك أن الدوق دوبيري اغتيل على يد أحد المجرمين وهو يغادر الدار .

صدق

أو لا تصدق

● اللورد أوكسفورد ○

كان اللورد أوكسفورد يقود عربته يومياً ويتجول بها في أنحاء لندن . والشيء اللطيف في عربته انها تجرها ٤ غزلان .



الآخرين ، لاعتقادهم أن رجل الطب كان قوياً لدرجة أن جسده لا تحرقه النار .



● رجل الطب ○

كان الهنود يحنطون رجل الطب في مقاطعة (تلنجيت) في الولايات المتحدة بينما كانوا يحرقون جثة الهنود

● صياد ماهر ○

الصياد البنسلفاني بيل لونغ (١٧٩٤ ـ ١٨٨٧ م) من مقاطعة بركس من بنسلفانيا قتل ٢٠٠٠ ذئب

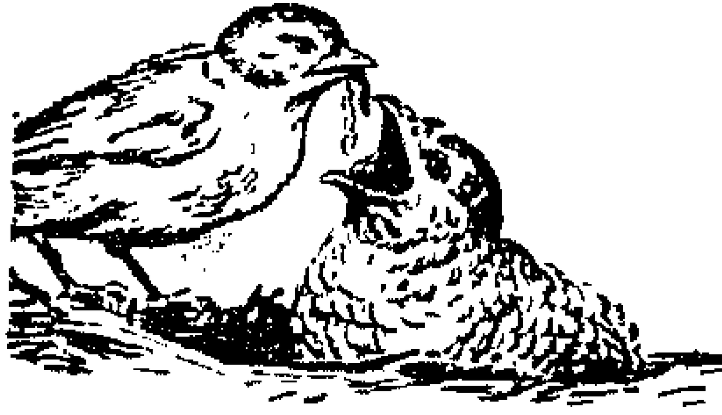
في حياته . وهكذا أحرز على لقب قاتل الذئاب .



● الكوكو الخداع ○

طائر الكوكو الذي يحبه السويسريون ويجسدونه في ساعاتهم طائر لعين . . وكسول . فلقد وجد أفضل طريقة لتجنب القيام بواجبات تربية فراخه . فعندما يبيض بيضة ، يحملها إلى عش طائر آخر ، حيث يسرق له بيضة فيأكلها ويضع بيضته مكانها .

وعندما تنشق البيضة ويخرج ابنه ، فسرعان ما يقذف أشقاءه من العش ليتمتع وحده بالغذاء الذي يجلبه له والده بالتبني .



● النور المدمِّر ○

قبل أن تضرب هزة أرضية مدمرة مدينة تانغشان الصينية عام ١٨٧٦ ، توهجت سماء ذلك الليل بنور ساطع لامع ، وبعد حدوث الهزة ظهر أن جنيات الشجيرات قد احترقت من جانب واحد فقط ، كما سحقت الأشجار الباسقة وتناثرت على الأرض .



● القندس المنقذ ○

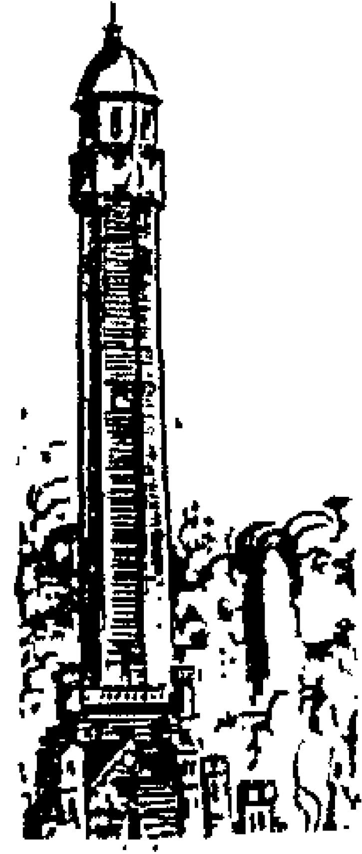
في ٢٢ أيلول من عام ١٩٣٨ ، حدث في ولاية نيويورك مالا يصدقه العقل البشري ، ذلك أن ستين مستوطنة من مستوطنات القندس كافحت مياه الفيضان المتدفقة الهائلة ، فأنقذت الطرقات العامة والجسور الرئيسة ، ومئات الهكتارات من الأراضي الزراعية الخصبة .

إنها غريزة حب البقاء .. فسبحان الله خالق الكائنات .



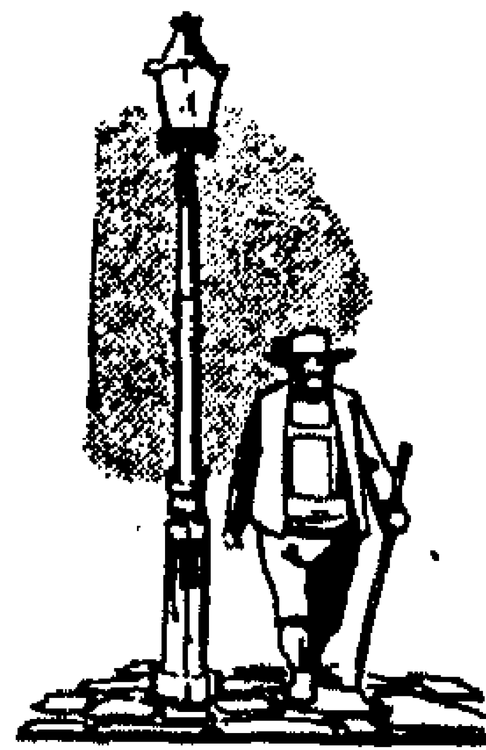
● برج الماء ○

برج الماء في ميتشيغان (شيكاغو) هو الأثر الوحيد الذي بقي واقفاً ولم يدمره الحريق الذي أتى على المدينة بكاملها عام ١٨٧١ .



● أضواء الطرق ○

عام ١٧٢٨ كانت شوارع مدينة غراز (النمسا) تضاء بالغاز وكان القانون النمساوي يحمي هذه القناديل ويقضي بقطع اليد اليمنى لأي شخص يتعمد كسر أحد القناديل ثلاث مرات . كما تم تعيين حراس لهذه القناديل .



• سم الكوبرا ○

أفعى الكوبرا سمها قوي جداً لدرجة أن غراماً واحداً منه يكفي لقتل ١٥٠ شخصاً .



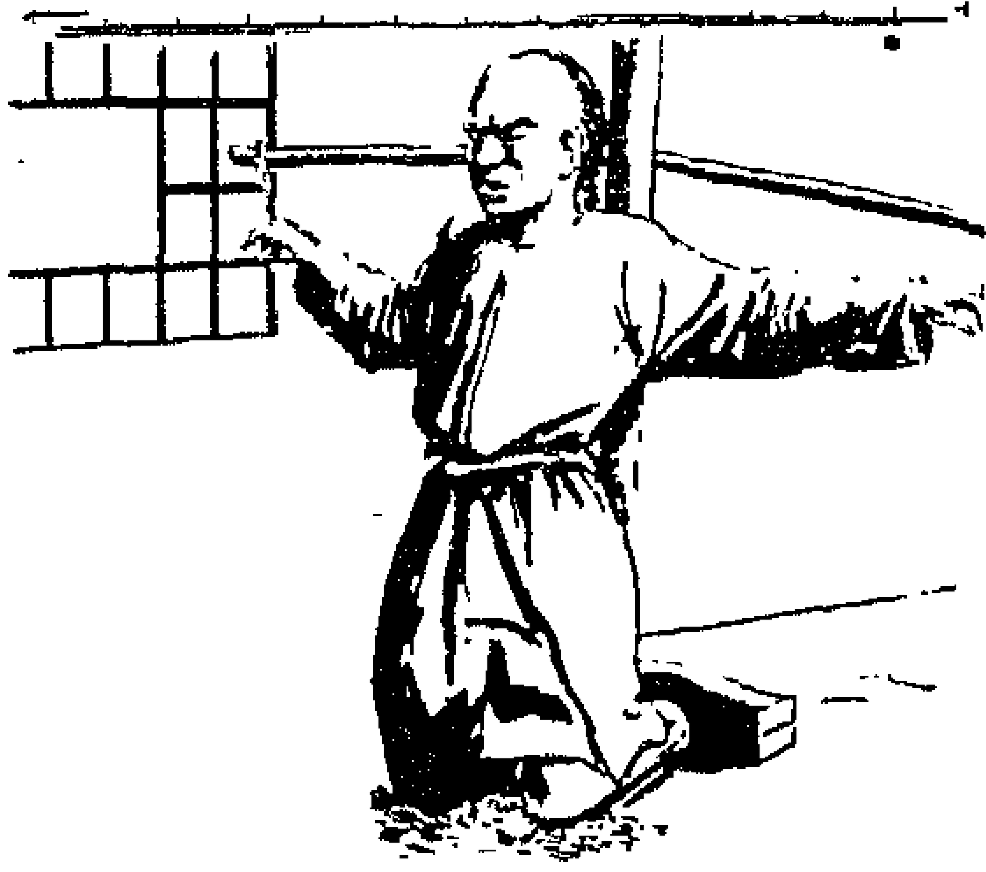
• سيغموند فرويد ○

سيغموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) يعتبر أبو علم النفس ، كان في حياته الخاصة يتأثر جداً لدى سماعه أي حديث عن الجنس .



• التعذيب على الطريقة الصينية ○

الصين بلاد العجائب والغرائب وبلاد المتناقضات فلم يقتصر التعذيب في الماضي في هذه البلاد الغريبة الجميلة على المجرمين فقط ليعترفوا ويقروا بذنوبهم ، بل شمل التعذيب أيضاً الشهود ليقروا بالحقيقة .



عام ١٨٩٩ تمكن السجين (فريد نريدول) كسر قضبان سجن كانساس بواسطة خيوط جواربه بعد أن يفركها جيداً بالصابون ويستعمل الخيوط كالمنشار ليلاً . . ولما قبض عليه اعترف بالوسيلة التي كان يقطع بها قضبان الحديد .



● عش النمل العجيب ○

في افريقية الاستوائية يبلغ عش النمل الأبيض الطيار حجماً كبيراً ، لدرجة أن بإمكان صنع ربع مليون حجر عمار إذا ما قطعته . وهذا ما يفعله الافريقيون لتشييد بيوتهم أحياناً .



● مات كما يريد ○

عام ١٠٥٥ ، قرر الكونت سيوارت حاكم مقاطعة الشمال في أوروبة أن لا يموت في سريره . وعندما شعر بدنو أجله ، قام من على سريره وارتدى ثيابه ودروعه وحمل فأسه الفضية وسيفه ومات وهو واقف على قدميه .



● البارومتر الطبيعي ○

تجاه جزيرة صقلية توجد صخرة علوها ٢٨٧ قدماً وتبعد ٤٠ ميلاً عن الجزيرة داخل البحر ، وهي تقوم مقام ميزان لمعرفة الجو بالنسبة إلى سكان الجزيرة ، فإذا شاهدوا الصخرة يكون الجو صافياً صحواً ، وإن حجبت عن الأنظار يكون الجو رديئاً .



● بخيل حتى على أولاده ○

الكاتب المسرحي والأديب الاسترالي الشهير جون نسترووي (١٨٠١ - ١٨٦٢) ألف مسرحيات كثيرة عرضت خلال ٤٠ عاماً ، لم يسمح لأحد من أولاده الأحد عشر من مشاهدة أي تمثيلية له طول عمره .



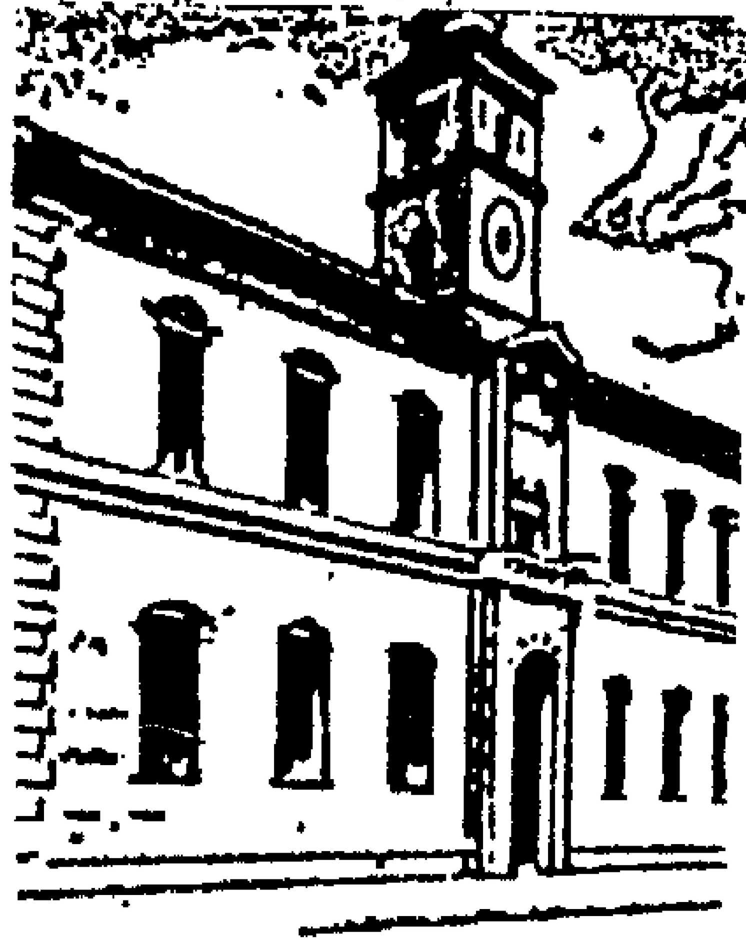
وأم كلثوم لها في البخل نصيب

عام ١٩٦٤ تخاصمت المطربة الكبيرة السيدة أم كلثوم مع زوجها الدكتور فرغب الوجيه اللبناني المعلم جميل حاسبيني أن يحسم هذا الخلاف ، ودخل مصلحاً بينهما لما له دالة على الاثنين ، فكان من شروط الصلح الذي وضعته السيدة الكبيرة : أن لا يطلب الدكتور منها نقوداً ، وأن لا يحضر حفلاتها التي كانت تقيمها في مطلع كل شهر .



هدية الزواج

شيد الدوق البير الخامس قصر الجنة في مدينة فيرارا الإيطالية عام ١٣٨٨ ، ثم قدمه هدية إلى عمه والد زوجته ، وذلك كي يتزوج ابنة خادمه . أعطى القصر إلى والدها كي لا يمانع في الزواج .



الكلب النبيه

(بلا نشيه) كلب من نوع الذئب ، أعطته السيدة ريمي في ميناء (لوهافر) في فرنسا إلى القبطان (مارين ماستر) الذي أبحر به على متن الباخرة (نورمندي) التي غرقت قرب جزيرة (سان نبوا) في المحيط الهندي في ٨ تموز (يوليو) عام ١٨٦٥ م . ولم ينج أحد من الركاب والا البحارة بعد سنة عاد الكلب بلانشيه إلى منزل السيدة ريميم ، بعد

أن نجا من الغرق . وقد وجد طريقه إليها قاطعاً مسافة ٥٠٠٠ ميل .



● الحصان البهلواني ○

«الخيل معقود بنواحيها الخير» .

كان الحصان (تيم) يملكه لاعب السيرك البهلواني (ج. د. ويلدن) . وكان هذا الحصان الوحيد الذي بإمكانه الوقوف على عامود خشبي صغير طيلة المدة التي يقدم بها صاحبه ألعاب البهلوانية ، وهو واقف على ظهره . وذلك دون حراك ! . .



● الآلة الكاتبة ○

الآنسة (ليليان شولز) التي عاشت في ١٨٥٦ - ١٩٤١ ، كانت أول فتاة نالت شهادة الطباعة على الآلة الكاتبة ، وأسرع طابعة أيضاً . ذلك أن والدها هو الذي اخترع الآلة الكاتبة عام ١٨٧٢ م .



● آخر موديل ○

المواطنون الصوماليون يحمون رؤوسهم من حرارة الشمس بعمل تسريحة شعر من الطين . والجميل في هذه التسريحة الحديثة أنها تغيِّر لون الشعر إلى اللون الأحمر وتنظف فروة الرأس أيضاً .





• نامت قريرة العين ○

كـارولينـا أولســون ، من سكـان (أوكنا) في السويد . نامت في سبات عميق وبشكـل متـواصـل لمـدة ٣٢ عـاماً ، منـذ عـام ١٨٧٦ حتى عـام ١٩٠٨ . والغـريب والعجيب في آن واحـد أنها عندمـا استيقظت شعـرت بـالسعـادة والفـرح ، وبعـد أيـام من استيقاظها توفيت والدتها .



• البلوغ في سن الثالثة ○

تحتفل بنات قبيلة بونان في بـورينو بنضوجها وهي في سن الثـالثة وبهـذه المناسبة تلبس الفتـاة (الحلق) وتدخن الغليون .



• طموح ابنة السنتين ○

ارمنـدي بيجارب يـوم كانت ابنـة السنتــين حملهـا الكـاتب المسـرحي الفـرنسي المشهـور مـوليـير وكــان في الخامسة والعشرين من عمره ، يومها قـالت لـه همسـاً : «زوجي العـزيـز» وبعد ١٥ عاماً تزوج الاثنان .

● السجل الذهبي ○

زعيم الموهوك من الهنود الأميركيين احتفظ بسجل غريب بعدد الرجال الذين قتلهم . والسجل الذهبي الذي يحتفظ به هذا الهندي الغريب الأطوار شجرة كبيرة كان يشير عليها بعلامة × إشارة إلى كل رجل كان يقتله .



● الحياة بعد الحياة ○

في انكلترا نمت شجرة تين في مقبرة كنيسة واتفورد ، فاخترقت سقف القبر .

يقول القس هنري ادورد ان بن وانجفورد أحد ضباط البحرية لم يكن يعتقد بالحياة الأخرى أمسك بتينة في يده عند وفاته ، وصرح بأن الشجرة لو أثمرت تيناً فيكون اعتقاده الديني بعدم وجود آخرة خطأ . وقد نمت اشجرة من الثمرة التي في يده .



الفهرس

مقدمة ٥

فصل

عمالقة في التاريخ ٧

أيتام حكموا العالم ١٩

محاكمة الأمبراطور الغامض ٣١

النجم الذي جاع ونام على الرصيف ، ثم أصبح يملك نصف مليون جنيه ٣٧

فصل

الرؤساء يحبون أيضاً ٥١

سر إختفاء جثة إيفا بيرون ٦١

يعترف بفشل مسرحيته ٦٦

قصائد على قطع الصابون ٦٧

الملك النائم في ملكه دائماً ٦٧

أغلى ثوب في التاريخ ٦٧

حكاية كلمات متقاطعة ٦٨

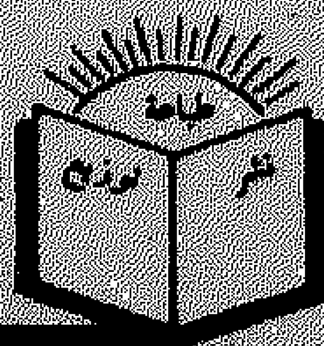
شيطان الكمان ٦٩

مع الأديبات ٧١

اختفاء وظهور آغاتا كريستي ٧٣
لغز اختفاء آغاتا كريستي ٧٨

فصل

عادات وطقوس غريبة ٨٣
سر الأفاعي في مصر تعرفه طائفة الرفاعية « مدد يا رفاعي .. مدد » ٨٥
يزورون قبور أزواجهن زاحفات ٨٩
أجانب .. وجدوا الحقيقة في اليابان « التأمل البوذي : رحلة داخل النفس » ... ٩١
القهوة التركي ممنوعة .. منعاً باتاً في قبرص اليونانية ٩٧
الكاميكازي والهاراكيري ـ طقوس مرعبة ما زالت سائدة في اليابان ٩٩
نساء ليلة البدر في شمال الهند ساحرات في ألوان زاهية يتحولن في ليلة إلى آلهات ١١٣
عجائب المخلوقات ١٢٣
مخلوقات الأعماق ١٢٥
الحضارة المفقودة ١٣١
الحضارة التي غرقت .. وما زال البحث عنها جارياً ١٣٣
جنان عدن المفقودة ١٣٩
معجزات الطب ١٤٣
يخترق صدره جذع شجرة ويعيش ١٤٥
برامج النوم الثلاثة ضرورية للجسم ١٤٩
غرائب الحيوان ١٥٧
حيوان الفقمة ١٥٩
يتجسس ويزرع الألغام ويطرب للموسيقى ١٥٩
هل تعلم ١٦٣
صدق أو لا تصدق ١٧٩
الفهرس ١٩٠



دار الكتاب العربي

دمشق الحلبوني تلكس/٤١١٥٤١/ هاتف: ٢٢٣٨١١